

2000

2000

د افغانستان ښوونکي

د افغانستان ښوونکي

www.alexandra.ahlamontada.com منتدى مكتبة الاسكندرية



داڦيد كوبرفيلد

تأليف: تشارلز ديكنز
ترجمة: مختار السويڤي
مراجعة: محمد العزب موسى

المؤلف

تتميز جميع أعمال تشارلس ديكنز ، الأديب الانجليزي العظيم ، بحلاوة الأسلوب السهل الجذاب ، الذي يشد القارئ من بداية العمل حتى نهايته ، كما تتميز بالحبكة الروائية التي تجعل القارئ يحس بطعم « الحدوتة » . ولهذا فقد اشتهر ديكنز بأنه الأديب الذي يحبه بسطاء العالم . . ذلك لأن جميع أعماله الأدبية معروفة ومحبوبة لدى قراء الأدب في جميع انحاء العالم ، بعد أن تمت ترجمتها الى أكثر من خمسين لغة من اللغات التي تتكلمها الشعوب المختلفة .

ولد تشارلس ديكنز فى « لاندبورت بورتسى » فى
انجلترا سنة ١٨١٢ ٠٠ وعاش طفولة بائسة ، لأن
أباه كان يعمل فى وظيفة متواضعة ويعول أسرة
كبيرة العدد .

ولهذا فقد اضطر لترك المدرسة وهو لم يزل صبيًا
صغيرًا ٠٠ والحقوه بعمل شاق بأجر قليل حتى يشترك
فى إعالة الأسرة .

وكانت تجارب هذه الطفولة الشقية ذات تأثير
عظيم فى نفسه ، وتركت انطباعات انسانية عميقة فى
حسه ووجدانه .

وقد كتب تشارلس ديكنز عن هذه الانطباعات
والتجارب المريرة المؤلمة التى مر بها اثناء طفولته ٠٠
فى العديد من قصصه ورواياته التى ألفها عن أبطال من
الأطفال الصغار الذين عانوا الكثير من العذاب والضياع
بسبب الظروف الاجتماعية الصعبة التى كانت سائدة
فى انجلترا فى عصره .

وتتجلى عظمته فى أنه بالرغم من هذا الشقاء الذى كان يعانيه فى طفولته ، فقد كان ينتهز أوقات فراغه من عمله الشاق ، وينكب على القراءة والاطلاع على الكتب ٠٠ كما كان يحرص على التجول وحيدا فى الأحياء الفقيرة بمدينة لندن ، حيث يعيش الناس حياة بائسة ، خارجة على القانون فى أغلب الأحوال ٠

وفى العديد من قصصه ورواياته ، وصف ديكنز هذه الأحياء الفقيرة بكل تفاصيلها وبكل المأسى التى كانت تدور فيها ٠

وعندما وصل الى سن العشرين ، تمكنت الأسرة من الحاقه باحدى المدارس ليكمل تعليمه ٠٠

وفى نفس الوقت كان يعمل مراسلا لحدى الجرائد المحلية الصغيرة لقاء أجر متواضع قليل ٠ وقد تقانى فى هذا العمل الصحفى الذى كان بمثابة تمرين له على حرفة الأدب ٠

كذلك فقد أتاح له هذا العمل الصحفى أن يتأمل مستطلعا فى أحوال الناس على مختلف مستوياتهم

الاجتماعية والأخلاقية ، فخرج بالعديد من التجارب
الانسانية التي وسعت من افقه وحسه الأدبى .

وفى سن الرابعة والعشرين (سنة ١٨٢٦) أصدر
تشارلس ديكنز أولى رواياته الأدبية « مذكرات
بيكويك » . وقد لاقت هذه الرواية نجاحا ساحقا ،
وجعلته من أكثر الأدباء الانجليز شعبية وشهرة .

ثم ازدادت شهرته فى انجلترا وخارج انجلترا
عندما صدرت رواياته العظيمة الأخرى تباعا . .

ولقد حرصنا منذ بداية ظهور هذه السلسلة من
«روائع الأدب العالمى للناشئين» أن نقدم لك يا عزيزى
القارئ أعمال هذا الأديب العظيم الصادق الذى امتلأ
قلبه بالمشاعر الانسانية ومواساة البائسين والمعذبين فى
الحياة ، والذى تتفجر رواياته بأسلوب سهل بسيط ، بكل
ماقى هذه الحياة من ألم وأمل . .

وعلى هذا فاذا كنت تريد معرفة المزيد من المعلومات
عن تاريخ حياة هذا الأديب العالمى الشهير . . وتريد فى

الوقت نفسه أن تستزيد من الاستمتاع بأعماله . فتعال معنا الى أعماله التي أصدرناها لك ضمن هذه السلسلة . وهى :

- أوليفر تويست
- الآمال الكبرى
- حكاية مدينتين
- دافيد كوبرفيلد
- أوقات عصيبة
- مذكرات بيكويك

وقضى تشارلس ديكنز معظم حياته فى كتابة المقالات وتأليف القصص والروايات والقاء المحاضرات وكان يدعو باستمرار فى غالبية هذه الأعمال الى ضرورة الاصلاح الاجتماعى ، والى تدمير « المؤسسات الخيرية والصحية » التى ترعى الفقراء من الناس .

وأمن تشارلس ديكنز بأن جميع الأحوال السيئة

قابلة للإصلاح . ولهذا فقد سخر قلمه البليغ للدعوة
الى تخليص المجتمع البشرى مما يحيط به من شرور
وأوضاع اجتماعية غير عادلة .

وفى سنة ١٨٧٠ مات تشارلس ديكنز بعد أن ترك
للإنسانية هذا الكنز الهائل من الأعمال الأدبية
العظيمة .

« المترجم »

الجزء الأول

البيت

١ - كيف كان مولدى

اسمى دافيد كوبرفيلد . . وماذا اكتب لكم قصة
حياتى . .

ولدت فى بلاندرستون . وقد مات أبى قبل مولدى
بفترة قصيرة .

وفى احدى الامسيات ، كانت أمى جالسة قرب
نار المدفأة ، وكانت حزينة على مصيرها ومصير طفلها
اليتم البائس .

ولحت أمى مس بيتسى وهى تسير خارج سور

الحديقة • وكانت مس بيتسى تسير متمهلة تجاه باب البيت • وبدلاً من أن تدق الجرس ، دست أنفها لتتأمل إلى داخل البيت من خلال النافذة •

ومس بيتسى هى عمة أبى ، ولذلك فقد كانت تعتبر بالنسبة لى عمتى الكبرى • وكان اسمها الحقيقى مس بيتسى تروتوود • وكانت تعيش مع خسام واحد فى كوخ متواضع جوار البحر • وكانت قد تزوجت من قبل ، ولكن زوجها كان رجلاً سيئاً ، لذلك فقد طرده •

وكانت عمتى على علاقة طيبة مع أبى • ولكنها غضبت عليه حين تزوج أمى • وكانت عمتى تدعوها دائماً باسم « اللعبة الغبية » • ولهذا السبب تشاجرت مع أبى ولم تلتق به بعد ذلك اطلاقاً •

وعندما رأت أمى مس بيتسى تروتوود وهى تطل من خارج النافذة ، قامت بسرعة وفتحت باب البيت لتستقبلها •

— أليس أنت مسز كوبرفيلد ؟ •



۱۹

مس ترنود .

فقال أمى :

- نعم .. أنا هى .. تفضلنى بالدخول .

ودخلت مس بيتسى . وجلست السيتان معا . ثم
بدأت أمى فى البكاء ، فاستاءت مس بيتسى وقالت
لأمى :

- اوه .. اوه ! .. لاتفعلى ذلك !

ولكن أمى استمرت فى البكاء . وعندئذ وضعت
مس بيتسى يديها برفق حول وجه أمى ، وقالت لها
برفق :

- يبدو انك مازلت طفلة صغيرة .. يجب ان
تتناولى بعض الشاى .. ما اسم البنت .. ؟!

فقال أمى :

- لأعرف ان كنت حاملا فى ذكر أم انثى ..

- أقصد البنت الخادمة التى تعمل عندك ..

- أه ٠٠ خادمتي اسمها بيجوتي .

فقامت مس بيتسي باستدعاء الخادمة ، وطلبت
منها احضار بعض الشاي ٠٠ ثم التفتت الى امي
وقالت لها :

- نعود الى الحديث عن الجنين الذي مازلت
تحملينه ٠٠ اني ارغب في ان يكون انثى ٠٠ ولابد ان
يكون انثى ٠٠ وانا اطلب منك ان تطلقى عليها اسم
« بيتسى تروتوود كوبرفيلد » ، واعدك بان اكون
صديقة لها ٠٠ وعلى فكرة ، هل تعرفين شيئاً عن الطبخ
وامساك الحسابات والاشراف على ادارة منزل ٠٠ ؟

فقالت امي :

- لا أعرف كثيراً عن ذلك ٠٠ ولكني أرغب في
تعلم هذه الأشياء .

ثم شرعت امي في البكاء مرة أخرى . فقالت
عمتي :

- كفى عن البكاء .. حتى لاتمرضى وحتى لاتتأثر
بمرضك الطفلة التى ستلدونها .

وعندما أحضرت الخادمة بيجوتى الشاى ..
لاحظت ان أمى متمبة ، فذهبت على الفور لاضمار
الطبيب . وبمجرد وصول الطبيب ، وكان اسمه
مستر شيليب ، صعد على الفور الى غرفة أمى .

ومرت عدة ساعات الى أن ظهر الطبيب مرة
أخرى نازلا على السلم . فأسرعت اليه عمتى وسألته فى
لهفة :

- ماه يادكتور .. كيف حالها ؟

فقال الطبيب :

- مسز كوبرفيلد فى حالة طيبة :

- ولكنى أسأل عن حال المولودة ..

وعندئذ قال الطبيب :

– آه ٠٠ لقد ولدت ذكرا !

ولم تنطق عمتى بكلمة واحدة ٠ ولكنها هبت واقفة
واسرعت بالخروج من البيت ٠٠ ولم تعد اليه بعد ذلك
أبدا ٠٠ وهكذا كان مولدى ٠٠ أنا دافيد كوبرفيلد ٠٠ !

٢ - وبدأت أدرك الأشياء

ومن المذكرات المبكرة التي مازلت أتذكرها وجه أمي وشعرها الجميل .. أما بيجوتي الخادمة فلا أتذكر من ملامحها سوى عينيها السوداوين وخدودها الحمراء مثل لون التفاح .. وأتذكر الطبخ والدجاج الكثير الذي كان يجري في حوش البيت .. وكانت الدجاجات تبدو لي في تلك الأيام كما لو كانت أضخم مني ..

ومازلت أذكر غرفة المعيشة والجلوس ، حيث كانت أمي وبيجوتي تجلسان في كل مساء .. ومازلت أذكر

كذلك منظر البيت من الخارج ، حيث كانت تبدو نوافذ
غرفة النوم ٠٠ وكذلك اذكر منظر حديقة البيت والسور
المرتفع الذى كان يحيط بها ٠ وفى تلك الحديقة كانت
هناك مجموعة من اشجار الفواكه ٠ ومازلت اذكر
كيف كانت امى تقوم بجمع الثمار فى سلة كانت
تحملها ٠

وكنت انا وامى نخشى قليلا من الخادمة بيجوتى
وفى احدى الأمسيات كنت جالسا مع بيجوتى فى غرفة
المعيشة بجوار المدفأة ٠٠ وكنت اقرا لها أحد الكتب ٠٠
وكنت متعبا لدرجة انى لم اعد قادرا على الاحتفاظ بعينى
مفتوحتين ٠٠ ومع ذلك فقد كنت لاحظ ابرتها وهى
تدخل فى القماش وتخرج منه فى حركات رتيبة ٠
وتطلعت عندئذ الى وجهها ٠٠ وكانت تبدو فى نظرى
جميلة ٠

وسألتها فجأة :

- بيجوتى ٠٠ هل تزوجت من قبل ٠٠ ؟

فربت بسرعة لفتت انقبامى :

- لماذا يا دافيد ٠٠ وما الذى جعلك تفكر فى
موضوع الزواج ؟

فعاودت سؤالها من جديد :

- اقصد ٠٠ ألم تتزوجى من قبل ؟ ٠٠ فأنت
سيدة جميلة جدا ٠٠ اليس كذلك ؟

ومرت فترة صامت قصيرة ، وعاودت بيجوتى
الخطابة بأبرتها وهى تقول :
- أنا جميلة ؟ ٠٠ لا يا عزيزى الصغير !

ولكنى تساءلت مرة أخرى :

- بيجوتى ٠٠ اذا كنت قد تزوجت رجلا ما ، ثم
مات هذا الرجل ٠٠ ألا يصبح فى مقدورك أن تتزوجى
رجلا آخر ٠٠ اليس كذلك يا بيجوتى ؟

فقالت مترددة :

- بعض الناس يرغبون فى ذلك ٠٠ وبالنسبة لى
فانى لا أرى ضرورة لذلك ٠٠ ان وجهات نظر الناس
تختلف بالنسبة لهذا الموضوع !



- وما مى وجهة نظرك أنت يا بيجوتى ٠٠ ؟

وتمهلتي بيجوتى قليلا قبل أن ترد :

- وجهة نظرى هى أن تستمر فيما كنت تقراه ٠٠

ولاحظت عندئذ أن صوتها كان يبدو غريبا ٠ فنظرت إليها مستعظفا ٠ وقلت :

- الست غاضبة منى يا بيجوتى ؟ ٠٠

فقامت على الفور ، وقبلت جبهتى وقالت :

- لا يا عزيزى ٠٠ ولكنى أرغب فى أن تسمعنى الكثير عن تلك الاشياء التى كنت تقراها لى ٠٠

وعلى هذا ، فقد واصلت القراءة ٠٠

وبعد فترة سمعنا جرس الباب ، فذهبنا لنفتحه ٠٠
كانت أمى تبدو فى غاية الجمال . وقد عادت الى البيت
ومعها رجل كنت قد رأيته من قبل ٠٠ انه الجنتلمان
الذى أوصلها الى البيت عندما خرجت من الكنيسة يوم
الأحد الماضى ٠٠ وكان اسمه : مستر ماردستون ٠٠

وانحنى أمى وقبلتنى . وعندئذ قال الجنّلمان :

- يا عزيزى الصغير . . كم أنت محظوظ !

ثم وضع يده على رأسى ، فوضعت يدى على يده
وأزاحتها .

فقال الرجل وهو يقبل يد أمى :

- ان حبه لك لا يدهشنى !

ولكنى أصبت بالدهشة وغضبت من ذلك . ولكن
الرجل حيائى قائلاً :

- تصبح على خير يا عزيزى الصغير !

فرددت تحيته ، ولكنى لم أسلم عليه يداً بيد .
وعندما استدار لينصرف التفت الى . . وكان يبدو
النسبة لى رجلاً سيئ المنظر . ولم أشعر نحوه بأى
حساس من الحب .

وذهبنا الى غرفة المعيشة . وقالت بيجوتى التى
كانت تقف منتصبه فى وسط الغرفة :

– أرجو أن تكونى قد أمضيت أمسية طيبة يامسنز
كوبرفيلد .

فقالتمى :

– شكرا لك ٠٠ كانت أمسية طيبة جدا ٠٠ !

وقالتمى بيجوتى :

– ان رؤية الغرباء امر يبعث على السرور فى
بعض الأحيان .

فقالتمى بارتياح :

– تماما ٠٠ !

وجلستمى على أحد المقاعد ، وسرعان ما استغرقت
فى النوم . ولكنى سرعان ما تنبهتمستيقظا مرة
أخرى . ورأيت أمى وبيجوتى جالستين . ويدور بينهما
حديث متواصل . وكانت عيونهما مغرورة بالدموع .
وكانتمى بيجوتى تقول :

– ان مستر دافيد كوبرفيلد لا يحب هذا الرجل !

فصاحت أُمى :

– أوه ٠٠ انك تدفعينى الى الجنون ٠٠ كيف
تجسرين على الحديث معى بمثل هذه القسوة ؟ ٠٠ انت
تعرفين تماما انى بدون أصدقاء يهتمون بى أو أهتم
بهم !

فقالَت بيجوتى على الفور :

– هذا هو السبب فيما أحدثك فيه ٠٠ لا يجب
ان تفعلِ ذلك ٠٠ لا يجب ٠٠ !

– وماذا أفعل اذا كان البعض يحبوننى ٠٠ انى
لا أستطيع أن أصدده ٠٠ ولا أستطيع أن أجعل من نفسى
امراة قبيحة ٠٠ !

واتجهت أُمى نحوى وهى تقول بعطف :

– عزيزى دافيد ٠٠ انها تقول انى لا احبك ٠٠ !

فصاحت بيجوتى قائلة :

– انى لم اقل ذلك اطلاقا !

— لا ٠٠ بل قلته ٠٠ قلته ٠٠ فهل أنا أم سيئة
بالنسبة لك يا دافيد ؟ ٠٠ هل أنا قاسية عليك أو غير
شفوقة بك ٠٠ انى أحبك يا دافيد ٠٠ اليس كذلك ٠٠ ١٩
ثم بدأنا نبكى جميعا ٠٠ وذهبت الى السرير
وبدأت استغرق فى النوم وأنا احس بأن عيني مبللتان
بالدموع ٠

وفى يوم الأحد التالى ، خرجت أمى من الكنيسة
ومعها الجنلمان ، وأخذا يتمشيان سويا صوب البيت ٠
وكان الرجل يريد أن يرى زهورنا المزروعة فى حديقة
البيت ، وطلب من أمى مستأذنا فى أن يقطف زهرة ٠
وعاد الرجل الى بيتنا بعد ذلك مرات ومرات ٠ وقد
اعتدت على رؤيته ، ولكنى مع ذلك لم أكن أحبه ٠

وفى صباح أحد الأيام ، كنت مع أمى فى حديقة
البيت حين وصل مستر ماردستون راكباً على حصان ٠
وقال انه ينوى زيارة اصدقاء له موجودين فى مركب
شراعى بمنطقة اويستوفت ٠ وارسلتنى أمى الى بيجوتى
بالدور العلوى ٠٠ ومن هناك كانت بيجوتى تنظر من

النافذة ، ورات أمى ومعهما الجنتلمان وهما يسيران فى الطريق ٠٠ وغضبت بيجوتى من هذا المنظر ، فأخذت تمشط شعرى بعنف وبطريقة المتنى ٠

وفى اليوم التالى ، أو ربما بعد ذلك قليلا ٠٠ طلبت منى بيجوتى أن اذهب معها لزيارة أخيها ٠٠ وكانت أمى آنئذ خارج البيت بينما كنت جالسا مع بيجوتى فى غرفة المعيشة بجوار المدفأة ٠٠

نظرت بيجوتى الى وجهى عدة مرات . وكانت تفتح فمها كما لو كانت تريد أن تتكلم ، ولكنها كانت تغلقه على الفور وتظل صامتة ٠ ومع ذلك فقد قالت أخيرا :

- مسـتر دافيد ٠٠ هل ترغب فى الذهاب معى لزيارة أخى فى يارماوث ٠٠ ونبقى هناك لمدة اسبوعين ٠٠ ؟!

فسالتها :

- هل أخوك رجل طيب يا بيجوتى ٠٠ ؟

- نعم ٠٠ انه رجل طيب ٠٠ وفى يارماوث سترى
البحر والمراكب والسفن والصيادين والرمال ٠٠ وهناك
ولد صغير اسمه هام يمكنك أن تلعب معه !

وتساءلت :

- ولكن ماذا ستقول أمى ٠٠ ؟

- أوه ٠٠ ستدعنا نذهب الى هناك ٠٠ وسأطلب
منها ذلك بمجرد عودتها الى البيت ٠٠ انها ستبقى مع
مسز جراس ولن تكون وحدها ٠٠

وهكذا تم ترتيب كل شيء ٠٠ ومرت أيام قليلة قبل
أن يحل موعد مغادرتى للبيت ٠ وركبت أنا وبيجوتى
عربة صغيرة مخصصة لنقل المسافرين وامتعتهم ٠٠

ومازلت اذكر حتى الآن كم كنت شغوفاً بمغادرة
البيت ٠٠ وأحسست ساعتئذ كما لو كنت اغادره الى
الأبد ٠٠

وإذكر تماماً كيف غمرتنى أمى بالقبلات عند بوابة
البيت ٠٠ وبدأت أبكى ٠٠ وبدأت أمى تبكى أيضاً ٠٠

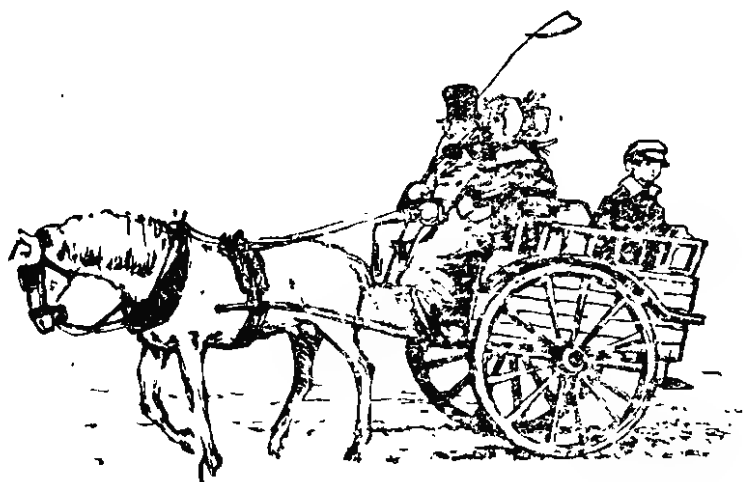
وعندما تحركت العربة خارجة من البوابة ٠٠ جرت
أمامي خلفها ، وطلبت من السائق أن يتوقف لتتمكن من
تقبيلي مرة أخرى ٠٠

ونظرت خلفي ٠٠ فرأيت انها مازالت واقفة على
الطريق ٠٠ ثم رأيت مستر ماردستون وهو قادم
نحوها ٠ وكان يبدو غاضبا عليها بسبب بكائها على
فراقى ٠٠ !

٣ - زيارة لمستتر بيجوتى

كان الحصان الذى يجر العربى أكسل حصان فى العالم ، فقد كان يسير ببطء شديد وقد أحنى رأسه الى أسفل . وعلى طول الطريق كانت العربى تدخل الى بعض الحوارى الضيقة لتسلم صندوقا فى أحد المنازل ، أو تسلم سريرا فى منزل آخر .

وكانت الخادمة بيجوتى تحمل على ركبتيها ربطة بها الكثير من أنواع الطعام . وقد أكلنا حتى شبعنا من الأكل ، ونمنا حتى شبعنا من النوم . ولكن الرحلة



عربة السفر

كانت طويلة وشاقة ومجهدّة ٠٠ وكم فرحت حين وصلنا
الى يارماوث ٠

كانت ضواحي المدينة اراضى واسعة منبسطة ٠٠
وكان البحر يبدو واضحا من خلال صفوف البيوت
المتناثرة هنا وهناك وفى كل مكان ، لدرجة يصعب
معيها معرفة أين تنتهى المدينة ، وأين يبدأ البحر ٠٠

وسارت العربية عبر شارع تفوح منه رائحة السمك ،
ثم توقفت قرب حانة ٠ وعندئذ صاحبت بيجوتى :

— هاهو هام ٠٠ كم أصبح كبيرا هذا الفتى ٠٠ !
وبالفعل كان فتى يافعا ضخما ، تطول قامته الى
نحو ستة اقدام ، ولكن وجهه كان يبدو كوجه طفل
تعلوه خصلات من شعر مجعد ٠

كان هام يقف خارج الحانة منتظرا وصولنا ٠
وسرعان ما حملنى على ظهره وحمل صندوقى تحت
ذراعه ٠ وحملت بيجوتى صندوقا آخر ٠ وسرنا عبر
عدة حارات ارضها مغطاة بالرمال ٠ وتجاوزنا البيوت

التي يسكنها بناؤو السفن والمراكب ٠٠ ثم البيوت التي
يسكنها صناع الجبال ٠٠ ثم جميع البيوت والحلات
الأخرى التي يسكنها أو يعمل بها مختلف أنواع الصناع
والحرفيين الذين يعملون في مختلف الأعمال والصناعات
المتعلقة بالسفن ٠٠ وأخيرا وصلنا الى مكان واسم
مفتوح ، أرضه مغطاة بالرمل ٠

وهنا قال هام :

— هامو بيتنا يا دافيد ٠٠ !

ونظرت الى مختلف أركان المكان ٠٠ ولكنى لم أر
بيتا على الإطلاق ٠٠ ولم يكن هناك سوى مركب كبير
أسود اللون ، تطل من أعلاه أنبوبة من الحديد يخرج
منها الدخان ٠٠ وفيما عدا ذلك لم يكن هناك أى نوع
من أنواع البيوت فى ذلك المكان ٠ ففسألت مندهشا :

— هل تقصد هذا الشيء الذى يبدو كما لو كان

قاربا ٠٠ !؟

وقال هام :

— نعم ٠٠ هذا بيتنا ٠٠ !

لقد سررت كثيرا من منظر هذا البيت العجيب من الخارج ٠ فقد كان الباب يبدو مشقوقا فى جدار القارب ٠ كما شقت أيضا بضع فتحات تستعمل كنوافذ صغيرة فى كل من جانبي القارب ٠ وكان أعلاه مغطى بسقف من الخشب ٠٠ !

وازداد سرورى حين تأكدت من أن هذا البيت العجيب كان قاربا حقيقيا كثيرا ما كان يمخر عباب البحار ، ولم يقصد بناؤوه أن يستعمل كبئف فى أى وقت من الأوقات ٠٠ ومع ذلك فكم كان ظريفا أن أعيى فى قارب مرتكز على الأرض وغير طاف على سطح المياه ٠٠ !

دخلنا البيت ، وكان نظيفا جدا من الداخل ٠٠ كانت هناك منضدة وساعة كبيرة معلقة على الجدار وبجوارها بعض الرسوم والصور ٠ وكانت هناك مجموعة من المقاعد ومن الصناديق المستخدمة كمقاعد ٠

ثم فتحت بيجوتى بابا صغيرا يؤدى الى حجرة

صغيرة خصصت لنومى ٠٠ كانت حجرة لطيفة تقع
بمؤخرة القارب ٠٠ حوائطها بيضاء ٠٠ وفيها مرآة
محاطة بإطار من أصداف القواقع ٠

وكانت رائحة السمك تملأ هواء البيت كله ٠
وأخبرتني بيجوتى أن أخاها يعمل فى صيد القواقع ٠

وقد استقبلتنا بداخل البيت سيدة فى غاية الأدب
اسمها مسز جاميدج ٠٠ كما كانت هناك بنت صغيرة
اسمها اميلى ٠٠ فرت هاربة واختبأت عندما رأتنى ٠

وتناولنا الطعام ٠٠ وكان سمكا ٠٠ !

ثم ظهر بعد ذلك رجل له شعر كثيف ولكن اللون
يغطى رأسه وفوديه وخديه وذقنه ٠٠ وقام الرجل
بتقبيل بيجوتى بحرارة ٠٠ فقد كان أخاها مستر
بيجوتى ٠

كان رجلا طيبا ٠٠ وقال لى بصوت طيب :

— مرحبا بك عندنا يامستر دافيد ٠٠ انى فخور
بزيارتك لنا ٠٠ وأرجو أن تكون سعيدا معها (وأشار

الى مسز جاميدج (٠٠ ومع هام ٠٠ ومع اميلى
الصغيرة !

وبعد ذلك تركنا وذهب ليفتسل ٠٠ وعندما عاد ،
كان وجهه اكثر احمرارا ٠٠ مثل لون القوقعة الذى
يتحول الى اللون الأحمر حين تغمر فى الماء .

وفى المساء جلسنا جميعا جوار المدفأة ٠٠ وعلمت
ان هام ليس ابنا لمستر بيجوتى ، ولكنه ابن شقيقه الذى
مات غريقا فى البحر ٠٠ كما علمت ان اميلى الصغيرة
بنت صهر مستر بيجوتى الذى مات ايضا ٠٠ اما مسز
جاميدج فقد كانت ارملة لصديقه مستر جاميدج الذى
كان يعمل معه فى نفس القارب ، ولكنه غرق فى البحر
منذ فترة طويلة ، ولم يعد لمسز جاميدج اى مأوى
سوى بيت صديق زوجها المستر بيجوتى ، فعاشت معه
فى نفس البيت .

وعندما توجهت للنوم ٠٠ كنت اسمع صوت الرياح
مختلطا بصوت امواج البحر ٠٠ وحلمت بأن هذا



البيت القارب أخذ يشق طريقه فى البحر الواسع ..
وأن مستر بيجوتى كان القبطان !

وفى صباح اليوم التالى خرجت لأتمشى على
الشاطئ .. وكانت مع اميلى . وسألتها :

- اعتقد أنك تحبين البحر .. ؟

فاجابت على الفور :

- لا .. انى أخاف منه .. لقد رأيته وهو يحطم
قاربا كبيرا الى قطع صغيرة .. انه جبار وقاس على
رجالنا .. !

وظللنا نسير سويا الى أن وصلنا الى رصيف
ممتد كاللسان بداخل البحر مخصص لرسو السفن
والقوارب الكبيرة .. وظلت اميلى تسير وحدها
فوق هذا اللسان حتى وصلت الى حافته النهائية عند
المياه العميقة . ثم أخذت تجرى عائدة . فقلت لها
مدهشا :

– لقد قلت لى منذ لحظات انك تخافين البحر ٠٠
وهانذا اراك لاتخافين منه ٠٠

فقالت اميلي :

– انى اخاف منه عندما تهب العواصف ٠٠ ولا
اخاف منه عندما يكون هادئا ٠٠ مثل حالته الآن ٠٠

لذلك فقد ضحكت من خوفي عليها حين كانت عند
حافة الرصيف عند المياه العميقة ٠٠ ومع ذلك فقد
شعرت فى بعض الاوقات فى حياتى المستقبلية التى
عشتها فيما بعد ، انه كان من الأفضل لو انها قد
سقطت فى البحر فى تلك المرة .

لقد أحببت اميلي الصغيرة ٠٠ كانت مجرد طفلة ٠٠
وكننت مجرد ولد صغير ٠٠ ولكن هناك شيئاً فى غاية
الجمال ينبثق دائماً من ذلك الحب النقى البسيط الذى
يربط أحياناً بين الأطفال الصغار .

كنا نتمشى دائماً على رمال شاطئ يارماوث ٠٠
وكنا نقضى هناك الساعات تلو الساعات . وقد لاحظت

بيجوتى ومسز جاميدج مدى سعادتنا ٠٠ وتهامسنا
علينا :

- اليسا جميلين وهما يلعبان معا ٠٠ ؟!
وحين كان مسـتر بيجوتى يرانا معا ٠٠ أنا
واميلى ٠٠ كان يبتسم خلف غليونه الموضوع فى فمه .
وقد لاحظت ان مسز جاميدج لم تكن سعيدة فى
كل الأحيان ٠٠ فعندما ذهب مسـتر بيجوتى فى احدى
الامسيات ليسهر مع بعض اصدقائه ، اعتل مزاج
مسـتر جاميدج واخذت تقول :

- انى وحيدة ٠٠ وكل الأشياء ضدى ٠٠
ثم اخذت تشكو من شدة البرد . فقالت لها بيجوتى :
- ان البرد كان شديدا طوال اليوم ٠٠ لقد شعرنا
كلنا به ٠٠

فقالت مسز جاميدج :
- ولكنى اشعر بهذا البرد الشديد اكثر من كل
الناس !



وعندما تناولنا طعام العشاء فى تلك الأمسية ٠٠
كانت الأسماك صغيرة ومملوءة بالشوك ، وأغلبها كان
قد احترق اثناء طهيهِ ٠ وجلسنا صامتين يلفنا شعور
شبيه بالحزن ٠ أما مسز جاميدج فقد انخرطت فى
البكاء وهى تقول :

- انى اشعر بالحزن أكثر منكم جميعا ٠٠ !

وعندما عاد مستر بيجوتى الى البيت فى الساعة
التاسعة مساء ٠٠ كانت مسز جاميدج لم تزل تبكى
وهى جالسة فى أحد أركان البيت اندهش مستر بيجوتى
وسالها :

- ماذا فى الأمر ٠٠ ولماذا تبكين هكذا ٠٠ كونى
مبتهجة ٠٠ !

فأ قالت :

- لقد ذهبت لتسهر خارج البيت ٠٠ وانى أسفة
لذلك ٠٠ وأشعر بانى السبب الذى دفعك الى الخروج
من بيتك ٠٠ !

فقال مستر بيجوتى ضاحكا :

– تقولين انك السبب الذى دفعنى للخروج ؟ ..
لم يكن هناك سبب يدفعنى للخروج سوى رغبتى فى
فعل ذلك .

فقالت مسز جاميدج وهى تذهب استعدادا للنوم :

– انى وحيدة .. ولا يحبنى احد .. واشعر
بالاشياء اكثر مما يشعر بها الناس الآخرون .. لقد
فشلت فى جعل نفسى مثلما اريد أن تكون .. وفشلت
فى جعل هذا البيت مريحا كما يحب .. !

وعندئذ قالت لى بيجوتى :

– انها تفكر فى الرجل القديم .

فتمسألت مندهشا :

– ومن هو هذا الرجل القديم ؟ .. !

فقالت ببساطة :

– زوجها الذى مات !

ومر الأسبوعان ، وانتهت زيارتي ، وحلت ساعة
الرحيل ٠٠ وشعرت بالحزن لاضطراري الى الافتراق
عن اميلي الصغيرة ٠٠

وعندما كنا نتوجه الى المكان الذي ستقوم منه عربة
السفر ، سرت أنا واميلي ذراعاً في ذراع ٠٠ وعندما
تحركت العربة شعرت بفراغ في قلبي ٠٠ برغم اني
كنت مسروراً بانني اصبحت في طريق العودة الى امي .
وأعلنت سروري هذا لبيجوتى ٠٠ ولكنها لم تكن
مسرورة لذلك ، بل كانت في منتهى الحزن !

وأخيراً وصلنا الى البيت ٠٠ ومازلت الى الآن
أتذكر ذلك الجو البارد الذي كان يلفه ، وتلك السحابات
الداكنة المحملة بالأمطار التي كانت تعلوه ٠٠

وفتح الباب ٠٠ فاندفعت جارياً صوبه والفرح
يفغمرنى . ولكنى فوجئت بوجود خادمة غريبة
لا أعرفها . فسالت بيجوتى :

— ما هذا يا بيجوتى ٠٠ ألم تعد امي الى البيت
بعد ؟ ٠٠ !

فقال بيجوتى متنهدة وبتردد :

– نعم ٠٠ لقد عادت يا دافيد ٠٠ ولكن انتظر ٠٠

فقلت وانا اشعر باضطراب شديد :

– ماذا حدث ؟ ٠٠ لماذا لم تحضر اُمى لتستقبلنى
عند باب البيت ؟ ٠٠ هل ماتت ؟ ٠٠ لا ٠٠ لا يمكن ان
تكون قد ماتت ٠٠ اليس كذلك ؟ !

وقالت بيجوتى :

– لا ٠٠ لم تمت ٠٠ وكان يجب على أن اخبرك
بهذا الأمر من قبل ٠٠ لقد أصبح لك الآن أب جديد ! ٠٠
تعال لقراه ٠٠ !

وشحب لون وجهى ٠٠ وهى تتوجه بى صوب
غرفة المعيشة ٠٠ وهناك تركتنى ٠٠

وعند أحد جانبي المدفأة كانت تجلس اُمى ٠٠ وعند
الجانب الآخر ، كان يجلس مستر ماردستون ٠٠ !

٤ - وبدأت متاعبي

كانوا قد نقلوا حجرة نومي الى حجرة اخرى ..
وبمجرد ان رقدت على سريري ، سحببت الغطاء فوق
رأسي ، واستغرقت في البكاء حتى اخذني النوم ..

واستيقظت على صوت يقول : هافر !! .. وشعرت
ببید تكشف الغطاء من فوق رأسي .. ورأيت أمي
وبيجوتي وقد جاءتا لترياني .. وقالت أمي :

- دافيد .. ما الحكاية .. ؟

فقلت وأنا امير وجهي عنها :

- لا شيء .. !

والتفتت أمي نحو بيجوتي وقالت لها بحدة :

— انت التي افسدته .. لقد حدثته بكلام ضدى ..
أوه يا دافيد .. أيها الولد السيء .. أوه يا بيجوتي ..
أيتمها المرأة السيئة .. هل أواجه كل متاعب ومصاعب
العالم لمجرد أنى تزوجت .. اليس من حقى أن اكون
سعيدة .. ؟!

وهنا شعرت بيد تهزنى .. لم تكن يد أمي ولا يد
بيجوتي .. كانت يد مستر ماردستون الذى كان يقول
لأمي فى نفس الوقت :

— ما هذا يا عزيزتى كلارا ؟ .. هل نسيت ماقلت
لك ؟ .. يجب أن تكونى حازمة !!

فقالت أمي كما لو كانت تعتذر :

— أنا آسفة يا ادوارد .. يصعب على أن اكون
حازمة !

فهمس فى أذنها ببضع كلمات .. وقد عرفت فيما

بعد انه مسيطر على أمى تماما ويستطيع ان يجعلها
تفعل أى شىء يرغب فيه ٠ وقال لأمى بحزم :

- انزلى يا عزيزتى الى الدور الأسفل ٠٠ ودعيني
أنا ودافيد لكى نتفاهم سويا ٠٠

وعندما خرجت أمى وبيجوتى من الحجرة ، قال لى
مستر ماردستون :

- دافيد ٠٠ هل تعلم كيف أروض حصانا ٠٠
أو كيف أجعل كلبا يطيعنى ٠٠ ؟ !

- لا ٠٠ لا أعرف !

- انى أضربه ٠٠ انى أقول لنفسى : سوف
انتصر على هذا الحيوان ٠٠ سوف أضربه ٠٠ وأضرب
بشدة كل جزء فى جسده ٠٠ هل تفهم ما أقوله لك ٠٠
نعم ٠٠ يبدو أنك قد فهمت ٠٠ هيا ٠٠ اغسل وجهك
وانزل معى الى الدور الأسفل ٠٠ !

وعندما وصلنا الى غرفة المعيشة بالدور الأسفل ،
قال مستر ماردستون لأمى :

– كلارا يا عزيزتى ٠٠ لن تشعري بالمتاعب التى
يسببها لك هذا الولد مرة أخرى ٠٠ !

وبعد أن تناولنا طعام العشاء فى ذلك اليوم ،
توقفت احدى العربات جوار باب بيتنا ٠٠ ونزلت منها
مس ماردستون ٠٠ أخت مستر ماردستون ٠٠ وكانت
تحمل معها صندوقين أسودين لهما مقابض حديدية ،
وتضع نقودها فى حقيبة صغيرة مصنوعة من الحديد ٠٠
لقد كانت امرأة حديدية !!

نظرت الى شذرا ٠٠ وقالت وهى تسلم على بيدها :

– انى لا أحب معظم الأولاد ٠٠

وقال مستر ماردستون :

– هذا ولد عديم الأخلاق !

وفى صباح اليوم التالى تجمعنا جميعا حول مائدة
الافطار ٠٠ وسمعت مس ماردستون تقول لأمى :

– والآن ياكلارا ٠٠ لقد جئت لمساعدتك ٠٠ انك
جميلة جدا ٠٠ وليست لديك أية فكرة عما أستطيع أن

اعمله من أجلك ٠٠ وإذا أعطيتنى جميع مفاتيح البيت .
فسوف أستطيع أن اتدبر جميع شئون هذا البيت من
الآن فصاعدا ٠٠

وعلى الفور بدأت أمى فى البكاء ٠٠ فقال لها
مستر ماردستون :

— كلارا ! ٠٠ انى مندهش لذلك ٠٠ !

فقالت أمى وهى تحاول أن تكفكف دمعها :

— انك تتحدث عن « الحزم » وعن « الانضباط » ٠٠
ولكنك تتناقض مع نفسك ٠٠ من المؤلم جدا أن أكون
فى « بيتى » ولا ٠٠٠ ٠٠٠

فقاطعها على الفور :

— « بيتى » ! ٠٠ هل قلت « بيتى » ، ٠٠ ؟ !

فقالت أمى مستدركة وقد بدا عليها الخوف :

— أقصد « بيتنا » ٠٠ من المؤلم جدا أن أبدؤ غير
قادرة على القيام بالاشراف على ادارة بيتنا ٠٠ أو

عاجزة عن القيام بأعمال هذا البيت ٠٠ وانى على يقين
من اننى كنت ادير هذا البيت ادارة حسنة قبل ان
تزوج ٠٠ اسال بيجوتى ٠٠ ا

وهنا قالت اخته مس ماردستون بحزم :

— ادوارد ٠٠ سارحل غدا !

فرد عليها اخوها بحزم اكثر :

— مس جين ماردستون ٠٠ الزمى الصمت !!

والتفت الى امى وقال لها :

— كلارا ٠٠ عندما تزوجتك كنت امل فى ان امنحك
القدرة على الحزم والانضباط ٠٠ لانك تحتاجين الى
ذلك ٠٠ وعندما تعطفت اختى جين ماردستون وجاءت
لتساعدنى فى ذلك ٠٠ فقد كنت اتوقع ان تشكرىها على
هذا المعطف ٠٠ اما هذا الكلام الذى تقولينه ٠٠ فانه
يسبب الى ويغير مشاعرى ٠٠

فقالت امى وهى تبكى :

— أوه .. : لأتقل مثل ذلك .. انى شاكرة لها ..
ودعنا نصبح أصدقاء .. انى لا أستطيع أن أعيش
بين ناس لا يعطفون على ...

وعندئذ القفت مسر مارديستون الى وقال :

— دافيد .. هذا كلام لا يناسك .. غادر الغرفة
فورا .. !

واغرورقت عيناي بالدموع لدرجة كنت لا أستطيع
معه رؤية الباب .

وهكذا تولت مس مارديستون كل شئون البيت ..
واذا حدث أن نطقت أمى بكلمة أو أبدت أية فكرة أو
ملاحظة ، فإن مس مارديستون كانت تفتح حقيبتها
الحديدية على الفور ، وتبدو كما لو كانت ستعيد
المفاتيح .. وعندئذ كانت أمى تخاف وتلزم الصمت .

وكان من المفروض أن تقوم أمى باعطاء
الدروس .. ولكن مس مارديستون واخته يحضران
دائما ساعة الدرس .. وينتھزان هذه الفرصة لتلقين
أمى دروسا فى كيفية الحزم والانضباط ..



فى الماضى ٠٠ اى قبل ان تتزوج اُمى ٠٠ كنت
اتمتع باوقات الدروس وأتعلّمها بسهولة ٠٠ ولكن هذه
الدروس أصبحت الآن - بحضور مستر ماردستون
وأخته - شيئاً يبعث الخوف والألم ٠٠ أصبحت محاكمة
يومية محزنة لى ولأُمى ٠٠

وفى احدى المرات ٠٠ تقدمت الى اُمى ومعى
الكتاب ٠٠ وسلمته لها مفتوحاً لكى ترى كيف حفظت
الدرس ٠٠ وبدأت فى تلاوة الدرس بسرعة قبل أن يطير
من ذهنى ٠٠ ولكنى كنت مضطرباً بسبب حضور مستر
ماردستون وأخته ، لذلك فقد أخطأت فى كلمة ٠ وعندئذ
نظر الى مستر ماردستون شذراً فأخطأت فى كلمتين ٠٠
فنظرت الى أخته مس ماردستون شذراً فنسيت على
الفور ست أو سبع كلمات ٠٠ وكانت اُمى تحاول أن
تساعدنى ولكنها لم تجسر على فعل ذلك ٠ وقالت لى :
- أوه يادافيد ٠٠

وهنا تدخل مستر ماردستون قائلاً لها :

- كلارا ٠٠ لا بد أن تكونى حازمة ومنضبطة مع

الولد ٠٠ لاتقولى له : اوه يادافيد ٠٠ بل انظري
للموضوع هكذا : هل حفظ هذا الولد درسه أم لا ٠٠ ؟

وقالت مس ماردستون على الفور :

- لا ٠٠ لم يحفظ درسه .

بينما قالت أمى :

- أخشى ألا يكون قد حفظه ٠٠

فقال مس ماردستون :

- اذن اعيدى اليه الكتاب ، وقولى له أن يحفظ
درسه جيدا .

فقال أمى بارتياح :

- هذا ماكنت أنوى أن أعمله بالفعل ٠٠ تعال
يادافيد ٠٠ خذ الكتاب وحاول مرة ثانية ٠٠ ولا تكن
غبيا ٠٠ !

وحاولت مرة اخرى ٠٠ ولكنى فشلت فعمل مستر
ماردستون حوكة تدل على نفاذ الصبر وكذلك فعلت
أخته ٠٠ بينما كانت أمى تحاول أن تحرك شففتيها

لتساعدنى ٠ فشخطت فيها مس ماردستون صائحة :

— كلارا ٠٠ !!

وعندئذ نهض مستر ماردستون من مقعده ٠٠ وأخذ الكتاب ٠٠ وضربنى به على رأسى ٠٠ وألقى بى خارج الغرفة ٠

هكذا كنت ألقى دروسى يوما وراء يوم ٠٠ وحتى عندما كنت أحفظ الدروس جيدا ٠٠ كان مستر ماردستون وأخته يكلفانى بمزيد من الواجبات ٠٠ وكانا لا يطيقان أن يريانى غير مكلف بواجب ٠

وهكذا تددت سعادتى ٠٠ وأصبحت كثير الصمت ٠٠ ومع ذلك فقد كانت سعادتى الوحيدة فى الأوقات التى أقضيها متفحصا الكتب التى تركها أبى ، والتى عثرت عليها فى حجرة مجاورة لحجرتى ٠٠ عثرت على « روبنسون كروزو » وعلى كتب الرحلات والعديد من الكتب الأخرى ٠٠ وكانت هذه الأوقات هى العزاء الوحيد الذى يساعدنى فى الهروب من شقائى وتعاستى ٠٠

٥ - وضربنى ..

ذات صباح ، توجهت الى غرفة المعيشة ومعى كتاب الدروس. .. وكانت أمى تبدو قلقة .. وكانت مس. ماردستون تبدو حازمة .. أما مستر ماردستون فكان يمشك فى يده عصا غليظة .

والتفت مستر ماردستون الى أمى وقال لها :

- لا تهتمى كثيرا بهذا الأمر ياكلارا .. فانا نفسى

ضربت كثيرا عندما كنت فى مثل سنه ..

وقالت ماردستون مؤمنة على كلامه :

- نعم .. هذا صحيح ..

فسالتها أمي :

- ولكن هل تعتقدان أن الضرب قد أصلح
أدوارد ؟؟

فردت عليها فوراً :

- وهل تعتقدان أن الضرب كان يؤله ؟؟

والثفت إلى ماستر ماردستون وقال لي وهو يمسك
بالعصا :

- والآن يادافيد ؟؟ يجب أن تهتم بدروسك بقدر
أكثر من المعتاد !

وفي الحقيقة ؟؟ فقد أصبحت كارها لاجباري على
تلقي دروسي بتلك الطرق المزعجة ؟؟ وكانت حالتي
تزداد سوءاً ؟؟ وأصبحت غير قادر على التذكر ؟؟
ولاحظت أن أمي قد بدأت تبكي ، فنظرت إليها مس
ماردستون وشخضت فيها :

- كلارا ؟؟

فأثارت أمي كما لو كانت تبرر موقفها :

- يبدو أني لست على مايرام هذا اليوم ٠٠ !

فرد عليها مستر ماردستون قائلاً :

- كلارا ٠٠ يبدو أنك لست حازمة بقدر كاف لكي
تتحلى المقاعب التي يسببها لك هذا الولد ٠٠

والتفت إلى وقال :

- دافيد ٠٠ لابد أن تصمد معي إلى الدور
العلوي ٠٠

وعندما كان يقودني خارج باب الغرفة ، اندفعت
أمي نحوي ٠ ولكن من ماردستون أمسكت بها وهددتها
قائلة :

- كلارا ٠٠ كم أنت غبية !

وسمعت أمي وهي تبكي بشدة بينما كنت أصعد
إلى الدور العلوي مع مستر ماردستون ٠ وعندئذ توسلت
إليه وأنا أبكي :

- أرجوك ياسيدى .. اتوسل اليك الا تضربنى ..
لقد بذلت كل جهدى فى حفظ دروسى .. ولكنى أفقد
القدرة على التعلم عندما تكون أنت ومس ماردستون
بالقرب منى !

وفجأة ، أمسك برأسى ووضعها تحت ذراعه ..
فأضطرت الى أن أعض يده .. وعندئذ بدأ يضربنى
ضرباً مبرحاً كما لو كان يريد أن يقتلنى .. وكانت
هناك ضجة كبرى .. فكلما استمر فى ضربى .. كلما
كنت أصرخ بأعلى صوتى .. ورغم كل هذه الضجة ،
سمعت أقدام أمى وبيجوتى وهما تصعدان درجات السلم
وكانتا تبكيان وتصرخان بشدة .

وعندئذ توقف مستر ماردستون عن الضرب ..
وخرج من الغرفة ، وأغلق على بابها ..

وبعد فترة ، بدأت أهدأ .. وأخذت أتصنت ، فلم
أسمع فى البيت صوتاً .. ونظرت الى وجهى فى
المرآة .. كان أحمر ومتورماً فشعرت بالخوف ..

وازداد احساسى بسوء حالتي ٠٠ واعتقدت انى قد
ارتكبت شيئا فظيما ٠٠ واخذت أفكر فيما ياترى
سيفعلونه بى ٠٠ هل سيرسلونى الى السجن ٠٠ ؟

وشعرت بيباب الغرفة وهو يفتح ٠٠ ودخلت نس
ماردستون ٠٠ ووضعت على المائدة بعض الخبز وقليل
من اللبن ٠٠ ونظرت الى بحزم ٠٠ ثم خرجت وأغلقت
الباب مرة أخرى ٠٠

٦ - وأرسلوني الى المدرسة

واستيقظت صباح اليوم التالى نشطا وسعيدا ٠٠
ولكننى سرعان ما تذكرت تلك التجربة المؤلمة التى
عانيتها ومازلت أعانيها ٠٠ وخيل الى أنهم ينوون
شنقى ٠٠ أو يفعلون بى أشياء أخرى لا أعرفها ٠٠
وظللت سجيناً فى تلك الغرفة لخمسـة أيام متعاقبة ٠
مرت كما لو كانت سنوات طويلة ٠٠ وكنت أتصنـت على
كل الأصوات التى تحدث فى البيت ٠٠ وقع الأقدام ٠٠
وصوت الجرس عندما يندق ٠٠ وكل الأصوات الأخرى
التي تحدث فى الشارع ٠٠

وفى اليوم الأخير ، سمعت صوتا يهمس باسمى
فاقتربت من الباب وقلت مثلها :
- اهذه انت يا عزيزتى بيجوتى ٠٠ ؟ !

- نعم يادافيد ٠٠ وتكلم بصوت منخفض حتى
لا تسمعنا !

وكانت تقصد بذلك مس ماردستون بالطبع ٠٠
وسالتها بصوت منخفض :

- كيف حال امى ؟ ٠٠ هل هى غاضبة منى ٠٠ ؟
وسمعت نهضة بكاء بيجوتى وهى تقول :
- لا ٠٠ ليست غاضبة ٠٠ !

- وماذا سيفعلون بى يا عزيزتى بيجوتى ٠٠ ؟ هل
تعرفين ؟ !

- نعم ٠٠ نعم ٠٠ سيرسلونك الى مدرسة قرب
لندن .
- متى يا بيجوتى ٠٠ ؟

— غدا ٠٠ !

ثم وضعت بيجوتى فيها قرب ثقب مفتاح الباب ٠٠
وهمست بهتان :

— عزيزى دافيد ٠٠ لقد مر وقت طويل دون أن
أراك ٠٠ ولم يكن ذلك بسبب انى لا أحبك ٠٠ بل على
العكس ٠٠ لقد امتنعت عن زيارتك لأن ذلك أفضل بالنسبة
لك وبالنسبة لأمك ٠٠ فانا أخشى غضب مستر ماردستون
وأخته علينا جميعا ٠٠ وربما سيأتى اليوم الذى ستعرف
فيه أمك انى مخلصه لها وتعود من جديد لتضع رأسها
فوق كتفى ٠٠ وأعدك بانى سأكتب لك يا عزيزى ٠٠

واختنقت كلماتها بعد أن بدأت فى البكاء ٠٠
فقلت لها :

— شكرا لك يا عزيزتى بيجوتى ٠٠ وهل يمكنك
أن تكتبى الى أخيك مستر بيجوتى والى اميلى الصغيرة
لتطمئنهم على حالى ٠٠ وانى لست فى حالة سيئة
كما قد يظنون ٠٠ وانى أرسل تحياتى وحبى لهم

جميعا ٠٠ خصوصا اميلي الصغيرة ٠٠ أرجه ك أن
تكتبى لهم بهذا ٠٠ !

ووعدتنى بيجوتى بذلك ٠٠

وفى صباح اليوم المتالى جاءت مس ماردستون
واخبرتنى بانهم قرروا ارسالى الى المدرسة ٠٠ وعندما
توجهت معها الى مائدة الافطار ٠٠ رايت امى جالسة
وقد احمرت عيناها من كثرة البكاء ٠٠ ومع ذلك فقد
قالت

يا دافيد ٠٠ حاول أن تكون ولدا طيبا ٠٠

لقد جعلوها تصدق انى ولد سيىء ٠٠ وحاولت
أن اتناول طعامى ٠٠ ولكن دموعى تساقطت على الخبز
والزبد ٠٠

وعندما وصلت العربة التى ستحملنى الى باب
البيت ، وضعوا فيها صندوقى ٠٠ ولم تحضر بيجوتى
لتوديعى ٠٠ وحضرت امى ومعها مس ماردستون التى
قالت لها بحزم :

– كلارا ٠٠ كوني حازمة !

فقالتمى طائعة :

– حاضر يا عزيزتى جين ٠٠ وداعا يا دافيد ٠٠
انت ذاهب لمصلحتك ٠٠ وداعا يا ابنى ٠٠ وسوف تعود
الى البيت فى فترة الاجازة ٠٠ وكن ولدا طيبا افضل
من ذلك !

وعندما اغرورقت عيناها بالدموع ٠ صاحتم فىها
مس ماردستون :

– كلارا ٠٠ :

فقالتمى امى :

– نعم يا عزيزتى جين ٠٠ ليرعاك الله يا دافيد ٠٠ !
وهنا اخذتمنى مس ماردستون وأجاستمنى فى
العربة ٠٠ وبدأ الحصان الكسول يتحرك ببطء ٠٠





الجزء الثاني

المقدمة

1.

2.

3.

٧ - فى الطريق الى المدرسة

وظللت أبكى الى أن ابتل منديلى تماما من كثرة
ما ذرفتة من دموع ٠٠ وفجأة أوقف السائق العربى .
وتمجبت لماذا توقف ٠٠ ولكنى رأيت بيجوتى وهى تقفز
الى داخل العربى وأخذت تقبلنى ٠٠

وأعطتنى بعض أكياس من الورق مملوءة بالكعك ٠٠
كما أعطتنى كيسا صغيرا به بعض النقود ٠٠ ثم نزلت
من العربى وأخذت تجرى ٠٠ وعندئذ بدأت العربى فى
التحرك من جديد ٠

وبعد فترة توقفت عن البكاء ٠٠ ووضع السائق

منديلى فوق ظهر الحصان ليحف ٠٠ وفتحت كيس النقود ، فوجدت به ثلاثة شلنات لامعة براقه ، كما وجدت ورقة صغيرة مكتوب فيها : « الى دافيد ٠٠ مع حبى ! »

وسالت سائق العربى :

- هل ستنظر هكذا حتى تصل الى هناك ٠٠ ؟

- أين « هناك » هذه ٠٠ ؟

- هناك ٠٠ الى لندن ٠٠

- الى لندن ؟ ٠٠ ان هذا الحصان سيموت قريبا قبل أن يصل الى نصف الطريق الى هناك اننا ستذهب فقط الى يارمارث ٠٠ ومن هناك ستركب عربى سفر كبيرة ستأخذك الى لندن ٠٠

كانت هذه خطبة كبيرة وطويلة بالنسبة الى مستر باركيس ٠٠ وهو اسم سائق العربى ٠٠

واعطيته كمكة ٠٠ فوضعها فى فمه وابتلعها مرة واحدة ٠ وسالتى بعد فترة :

- هل هي اننى صنعت هذا الكعك ٠٠ ؟

فقلت له :

- هل تقصد بيجوتى ياسيدى ؟ ٠٠ نعم هي التى
صنعتة ٠٠ وهي تقوم بكل أعمال الطبخ ٠٠

واخذ مستر باركيس يحملق فى اذننى الحصان وهو
مستغرق فى التفكير . ثم سألنى :

- هل لها زوج ٠٠ ؟

- لا ياسيدى ٠٠ انها غير متزوجة .

وظل يحملق فى اذننى الحصان ، ثم قال مرة اخرى :

- وهي التى تقوم بكل أعمال الطبخ ٠٠ ؟

- نعم ٠٠

- اعتقد انك ستكتب لها مستقبلا ٠٠

- نعم ساكتب لها ٠٠

وعندئذ ادار مستر باركيس عينيه نحوى ونظروا الى
راجيا .

٠ - عندما تكتب اليها ٠٠ قل لها ان باركيس
مستعد « (١) ٠

فتساءلت دون ان افهم قصده :

- باركيس مستعد ؟ ٠٠ هل هذه كل رسالتك ؟ ٠٠

فقال بهدوء ويبطء :

- نعم ٠٠

- ولكنك يامستر باركيس سستمر ببيتنا غدا ٠٠
اليس من الأفضل ان تبلفها رسالتك بنفسك ؟ ٠٠

فقال بهدوء مرة اخرى :

- ابلفها بأن « باركيس مستعد » ٠٠ هذه هي كل
رسالتي ٠

وعندما وصلنا الى يارماوث ، قالت السيدة التي
تدير الحانة ان عشائي جاهز ٠ واقتادتنى الى صالة
واسعة ٠ واحضر الخادم عشائي وهو يقول :

(١) عبارة تعني انه يمرض عليها الزواج به .

— هذا عشاء به كمية من الطعام أكثر من حاجة
ولد صغير ٠٠ هل تدعني أساعدك فيه ٠٠ دعنا نرى
من يأكل أكثر من الآخر ٠٠ !

وبالطبع فقد أكل الخادم أكثر منى ٠٠ أكل كل
العشاء تقريبا ٠٠ وطلبت منه أن يحضر لى بعض
الأوراق لأكتب رسالة الى بيجوتى ٠ وكتبت :

« عزيزتى بيجوتى ٠

وصلت بالسلامة الى يامساوث ٠٠ و « باركيس
مستعد » ٠٠ أبلغى أمى بحبى ٠

المخلص لك والذى يحبك كثيرا ٠

دافيد ٠

ملحوظة : هو يقول انه حريص على أن تعرفى أن
« باركيس مستعد » ٠

وسألقى الخادم :

— هل انت ذاهب الى المدرسة ٠٠ ؟

- نعم ٠٠
- وأين تقع هذه المدرسة ٠٠ ؟
- بالقرب من لندن ٠٠ هذا كل ما أعرفه عنها ٠
- أوه ٠٠ انى أسف لذلك !

فقلت مدهشا :

- لماذا ٠٠ !؟

- انها المدرسة التى يكسرون فيها ضلعين من صدر كل ولد !

ولم يسعدنى هذا الكلام طبعاً ٠٠

وبعد فترة وصلت عربية السفر الكبيرة الى باب الحانة الخارجى ، وأوصلتنى السيدة التى تدير الحانة الى العربية وهى تنظر الى بدهشة وقالت :

- هل التهمت كل طعام العشاء دون أن يساعدك

حد ؟

ونادت على الخادم :

- جورج .. ان هذا الولد سينفجر من كثرة
ما اكل !

وتحركت عربة السفر وأخيرا وصلت الى لندن في
صباح اليوم التالي .. وهناك كان ينتظرني أحد
المدرسين الذين يعملون في المدرسة . كان اسمه مستر
ميل . وقلت له اني لم أتناول افطاري .
فقال :

- سنشتري بعض الطعام .. وسوف أذهب لزيارة
سيدة عجوز .. وستتناول طعام افطارك عندها ..
ومشينا حشافة قصيرة ، الى أن وصلنا الى أحد
ملاجئ الفقراء والمعزة التي يبيتها بعض الأغنياء
الحسنين لايواء الموسرين من الناس . ودخلت مع مستر
ميل الى داخل الملجأ . وسمعت صوت سيدة عجوز
تناديه :

- عزيزي شارلي !
وعرفت انها أم مستر ميل ..

وبعد أن تناولنا افطارنا سويا، قالت السيدة العجوز
لابنها :

— هل أحضرت صفارتك يا شارلى ؟
وأخرج ممتر ميل صفارته وبدأ يعزف لحننا
وكان أصو عزف سمعته فى حياتى ..

وبعد أن خرجنا من الملجأ ، ركبنا عربة سفر أخرى
أوصلتنا الى بلا كهيت .
ثم سرنا مسافة طويلة حتى وصلنا الى بيت مبنى
من الطوب وله باب علقت عليه لافتة مكتوب عليها :
« سالم هاوس » .

وفتح الباب . وظهر رجل له ساق خشبية .
وقال له المدرس :

— هذا هو الولد الجديد .

كان « سالم هاوس » هذا عبارة عن مبنى مربع
الشكل له مظهر حزين .. وقادنى الرجل الى أحد
الفصول .. وهو مكان معزى وفارغ تماما وليس فيه
أحد غيرى . وكانت هناك ثلاثة صفوف طويلة من مقاعد
التلاميذ .. وقصاصات كثيرة من الورق متناثرة على

الأرض ٠٠ وكانت الجدران كلها ملوثة بالعبر كما لو
كان السقف قد امطر حبرا ٠٠ وكانت رائحته كريهة
لاتطاق ٠

وفى ذلك الفصل قضيت عدة أيام وحيدا ٠٠ ولم
أكن أرى أحدا سوى مستر ميل ، للأولاد لم يعودوا
بعد من الأجازة ، كما أن مستر كريكل ناظر المدرسة
مازال يقضى عطلته بعيدا على شاطئ البحر ٠

وكننت أتناول وجباتى مع مستر ميل فى صالة
الطعام الواسعة الخالية ٠ ثم نعود الى الفصل ٠٠
وينهمك هو فى الكتابة لفترة طويلة وعندما كان ينتهى
من ذلك كان يفرج صفارته ويبدأ فى عزف الألحان
الحزينة ٠٠

أما أنا ، فكنت أقضى وقتى فى القراءة ٠٠ أو فى
الاستماع الى تلك الألحان الحزينة ٠٠ وعندما كننت
أتوجه للنوم كل مساء ، كننت أجهد نفسى بالبكاء حتى
أتمكن من النوم وحدى فى تلك الحجرة الكبيرة الواسعة
الملوثة بالأسرة الخالية ٠٠

٨ - وقابلت العديد من الناس

وأخذ الرجل ذو الساق الخشبية ينظف جميع
الأركان بمبنى المدرسة • وعلمت أن ناظر المدرسة مستر
كريكل سيصل في المساء • وقبل أن يحل موعد نومي
بقليل ، استدعاني الرجل ذو الساق الخشبية لمقابلة
الناظر •

كان مستر كريكل بدينا • وكان يجلس في حجرته
على مقعد ذي مساند جانبية • وكانت زوجته مسز
كريكل وابنته مس كريكل موجودتين بالحجرة •
وبمجرد دخولي قال الناظر :

- هاه ٠٠ هاهو الجنتلمان الصغير الذى يعرض ٠٠
لقد أخبرنى مستر ماردستون بانك تعض ٠٠ انا أعرف
مستر ماردستون جيدا ٠٠ انه رجل قوى الشخصية ٠٠
وانا أيضا قوى الشخصية ٠٠ وعندما أقول انى سأفعل
شيئا ما فلا بد أن أفعله ٠٠ !

وشعرت بخوف شديد ٠٠

وفى صباح اليوم التالى ، وصل مدرس آخر اسمه
مستر شارب ٠ وكان تومى ترادلز أول العائدين من
الاجازة من تلاميذ المدرسة ٠ ثم وصل بعد ذلك أولاد
آخرون ٠

وعندما وصل ج ٠ ستيرفورت ، أخذونى اليه كما
لو كانوا يأخذوننى الى القاضى ٠٠ كان جالساً تحت
دروة فى فناء الملعب ٠٠ وهو اكبر الأولاد سناً ولذلك
فقد كانوا يعتبرونه رئيسهم ٠ وكان يتمتع بذكاء خارق
ومنظر حسن ٠

سألنى ستيرفورت :

- كم معك من النقود ٠٠ ؟

فقلت له على الفور :

.. سبعة شلنات .

.. اذن اعطهم لى .. سوف احفظ هذه النقود من
أجلك ..

وأعطيته النقود . فقال :

.. ربما توافق على صصرف بعض هذه النقود
للاشتراك فى شراء وليمة سنأكلها فى حجرة النوم ..

فوافقت ..

وفى تلك الليلة ، انعقدت الوليمة فى حجرة النوم ،
وجلسنا جميعا نتسامر ونتحدث فى ممس وعلمت الكثير
من أخبار المدرسة وأسرارها .

علمت أن مستر كريكل ناظر المدرسة يضرب الأولاد
بشدة وباستمرار .. وأنه لايعرف شيئا .. وأنه كان
صاحب متجر صغير قبل أن يبدأ مشروع هذه المدرسة ..
وعلمت أنه لايجسر اطلاقا على ضرب ج . ستيرفورث .

وعلمت أيضا أن المدرسين مستر شارب ومستر
ميل لا يحصلان الا على أجر قليل .. كما علمت ان مسز
كريكل زوجة الناظر معجبة جدا بستيرفورث .

واخيرا قال لى ستيرفورث :

– تصبح على خير يا كوبرفيلد الصغير .. سوف
أرعاك واعتنى بك !

فقلت له :

– شكرا لك .. انك شديد العطف !

٩ - لعام الدراسي الأول في سالم هاوس

بدأت الدراسة في اليوم التالي . وما زالت أنكر الضجة الشديدة الصاخبة التي كانت تحدث في حجرة الدراسة ، والسكون والصمت المفاجيء عند ظهور مستر كريكل .

ويبدو أن مستر كريكل كان يجد متعته الخاصة في ضرب الأولاد . وكان يضرب ترادلز أكثر من كل الأولاد الآخرين .

وواصل ستيرفورت حمايته لي . وكنت أحكي له ما أعرفه من القصص في كل مساء ، وكان يساعدني

فى مذاكرة دروسى ٠٠ وكذلك كان مستر ميل يساعدى
فى المذاكرة ، وشعرت بأنه يحبنى ويعطف على أكثر من
الأولاد الآخرين

وكننت أتاالم بشدة من المعاملة السيئة التى يمارسها
ستيرفورت ضد مستر ميل ٠٠ فقد كان يمامله بدون
احترام ، ويفعل كل شئ يؤذى مشاعره ويجرح
احساساته ٠٠ وكان يحرض الأولاد الآخرين ويشجعهم
على السخرية به .

وشعرت بأننى أخطأت خطأ كبيرا حين أخبرت
ستيرفورت بأن أم مستر ميل سيدة عجوز تعيش فى
ملجأ للفقراء والعجزة ٠٠ فقد كنت أخشى أن يشيع
ستيرفورت هذا الخبر بين الأولاد الآخرين لزيادة
السخرية بمستر ميل وجرح مشاعره ٠٠

وهكذا مرت أيام الدراسة يوما وراء يوم ٠٠ الى
أن جاء يوم سأظل أذكره طول حياتى .

كان يوم سبت ٠٠ وقد أجبرنا المطر المنهمر الى

قضاء فترة بعد الظهر بداخل حجرة الدراسة . وكان
مستر شارب قد انصرف ، وبقي معنا مستر ميل .

كان الأولاد يحدثون ضجيجا وصخبا أكثر من
المعتاد . كانوا يجرون ويتقاذرون هنا وهناك .
ويضحكون . ويصرخون . ويفنون . ويرقصون .
ثم أخذوا يتحلقون حول مستر ميل ويبلقون بأعينهم
فيه . ويخرجون السنتهم له . ويسخرون من ملابسه
الفقيرة الرثة . ومن حذائه البالي المثقوب . ومن
أمه . !!

كان هذا شيئا فظيحا ومؤلما . وكان الأولاد
يدورون حوله كما تدور الكلاب حول حيوان جريح .
ومع ذلك ، فقد ظل مستر ميل جالسا في سكون وقد
أسند رأسه على يده محاولا القراءة في كتاب . أو
لعله كان يتظاهر بأنه منهمك في القراءة .

ولكن فجأة ، قفز مستر ميل من مقعده وهب واقفا
وأخذ يصيح :

— اسكتوا جميعا ٠٠ ما هذا الذى تفعلون ٠٠
مامعناه ٠٠ من المستحيل أن اتحمل ذلك ٠٠ انكم تدفعوننى
الى الجنون ٠٠ كيف تجرؤون على فعل ذلك يا اولاد !
والقى بالكتاب بعنف فوق مكتبه ٠٠

وحل الصمت عندما توقف بعض الأولاد عن
الاستمرار فى تلك السخرية المريرة ٠٠ ولكن ستيرفورث
وقف فى آخر الفصل وأخذ يصفر ٠ فقال مستر ميل :

— اسكت يا ستيرفورث !

ولكن ستيرفورث قال :

— اسكت أنت !

— اجلس !

— اجلس أنت !

وضحك الكثير من الأولاد ، وشعب لون وجهه
مستر ميل وهو يقول :

– لقد رايتك وانت تعرض الأولاد ضدى وتفتهم
على الصخرية بى ٠٠ انك الولد المفضل لدى الناظر ٠٠
وانت تستغل هذا المركز لتسخر وتشتتم وتسب سييدا
مثلى ٠٠

فقال ستيرفورت على الفور :

– سييدا ١٩ ٠٠ هل تظن نفسك سييدا ١٩ ٠٠ انك
مجرد شحاذ !!

وخيل لى أن ستيرفورت كان ينوى ضرب مستر
ميل ٠٠ أو أن مستر ميل كان ينوى ضرب ستيرفورت ٠٠
وفجأة دخل مستر كريكلى الى الحجرة وصاح :-

– ما هذا الذى يحدث ٠٠ ؟

فقال ستيرفورت :

– كان يقول انى الولد المفضل لدى الناظر ٠٠
وقال مستر ميل :

– انه يستغل مركزه هذا ويسبىنى ٠٠

فقال ستيرفورت :

- لقد وصفته بأنه شحاذ ٠٠ وهو بالفعل شحاذ ٠٠
وابن شحاذة ٠٠ ان أمه تعيش فى ملجأ للفقراء
والعجزة !

ونظر مستر ميل نحوى ٠٠ وأسند يده على كتفى ٠٠
وهنا قال مستر كريكل :

- والآن يا مستر ميل ٠٠ اذا سمحت ٠٠ ان عليك
أن تثبت لنا جميعا أن ما قاله ستيرفورت غير صحيح ٠
فقال مستر ميل بآنكسار :

- لا ٠٠ انه على صواب ٠٠ لقد قال الحقيقة !

وعندئذ قال مستر كريكل قراره :

- أعتقد أنك أخطأت الطريق عندما جئت للعمل فى
مدرستنا ٠٠ كان يجب أن تعمل فى مدرسة
للشحاذين ٠٠ أنت مفصول ٠٠ وعليك أن تغادر
المدرسة !

فقال مستر ميل وهو ينصرف :

- ستيرفورت ٠٠ أتمنى أن يأتى يوم نندم فيه
وتحس بالعار مما فعلته معى فى هذا اليوم !

وجمع مستر ميل كتيبه وصفارته وخرج ٠٠

وهنا قال تراندلز لستيرفورت :

- أنت الذى شتمته ٠٠ وتسببت أيضا فى فصله
من العمل !

ومع ذلك فقد كان ستيرفورت محل إعجاب معظم
الأولاد .

وفى ظهر أحد الأيام ، أخبرنى بان زوارا جاءوا
ويريدون مقابلتى وفوجئت بوجود مسستر بيجوتى
وهام ، وقد جاءا لزيارتى . وقال مسטר بيجوتى عندما
رأنى :

- لقد نضجت وأصبحت كبيرا ٠٠

وسأله :

- كيف حال أمي ٠٠ وكيف حال أميلي الصغيرة
ومسن جاميدج ٠٠ ؟!

- هم جميعا بخير وفي أحسن حال ٠٠ لقد
أحضرت لك بعض القواقع والمحار ٠٠

وعندما دخل ستيرفورت الى الحجرة قلت له :

- تعال لأعرك با صدقائي ٠٠ هذان صديقان
من يارماوث ويعملان في القوارب ٠

فقال ستيرفورت :

- اني سعيد برؤيتكما ٠

وقلت :

- هل يمكن أن أصبح ستيرفورت معي عند
زيارتكم في يارماوث لكي يرى بيتكم ٠٠ انه بيت
مصنوع من قارب كبير ياستيرفورت !

فقال مستر بيجوتى :

– أن بيتى ليس فرجة ٠٠ ولكنى أرحب بكمما
بكل سرور فى هذا البيت ٠٠

وهكذا مرت أيام الدراسة ٠٠ كل يوم منها كان
يشبه ماسبقه وما يليه من أيام ٠٠ وانتهى العام
الدراسى أخيرا ٠٠

ومازلت الى الآن أنكر رحلتى الى يارماوث فى عربة
السفر ٠٠

١٠ - أيام الإجازة

ومن يارماوث . ركبت حربة السفر الصغيرة التي
يقودها مستر باركيس . **وقلت له :**
- تبدو فى حالة جيدة يا مستر باركيس . . لقد
ارسلت رسالتك .
فقال بهدوء :
- ولكنى لم استلم حتى الآن رداً . - ومازلت
انتظر .
فسأله :
- وهل حدثتها فى ذلك ؟ . . ؟

- لا ٠٠ وعليك أن تصادتها انبت فى هذا
الموضوع ٠٠ قل لها : بيجوتى ٠٠ باركيس مازال
ينتظر ردك ٠٠ فاذا سألتك ردى على ماذا فقل لها ان
« باركيس مستعد » !

ثم سألتى بعد لحظة :

- قل لى ٠٠ ماهو اسمها الأول "

فقلت له :

- كلارا ٠٠ اسمها كلارا بيجوتى

وكتب مستر باركيس هذا الاسم على أحد جانبي
العربة .

وعندما وصلنا الى البيت . توقفت العربة أمام
البوابة الخارجية . وانزل مستر باركيس صندوق
حاجياتى وتركنى ٠٠ وسرت تجاه الباب ، واتجهت
مسرعا نحو غرفة المعيشة ٠٠ وهناك رأيت أمى جالسة ،
وتحمل على ذراعيها طفلا رضيعا ٠٠ !

ناديت عليها ، فهبت واقفة ، واتجهت نحوى ،
وقبلتنى وهى تقول :

- هذا أخوك يادأفيد .. ياولدى العزيز ..
ياولدى المسكين !

وجاءت بيجوتى بسرعة واحتضنتنى .. وكان
مستر ماردستون وأخته مى ماردستون خارج
البيت .. لذلك فقد جلسنا نحن الثلاثة نتناول عشاءنا
جوار المدفأة . وعندما أخبرت بيجوتى بما قاله مستر
باركيس ، أخذت تضحك .. وهنا قسألت أمى :

- عما تتحدثان ؟

فقالـت بيجوتى :

- عن رجل غبى يريد أن يتزوجنى !

وقالـت أمى :

- سيكون هذا زواجا مناسبا .

وقالـت بيجوتى :

- لا ٠٠ لن أتزوجه حتى ولو كان مصنوعا كله من الذهب الخالص ٠٠ قل له يادافيد : انك لم تتكلم معها مر بل ٠٠ وقل له انه اذا حاول أن يكلمنى فسسوف أصفعه على وجهه !

وعندما انتهينا من تناول العشاء ، جلسنا قرب نار المدفأة ٠ وقالت أمى مقسائلة :

- بيجوتى ٠٠ هل حقا تريدان أن تتزوجى ٠٠ ؟!

- انا ؟ ٠٠ أنا لن أتزوج اطلاقا ٠٠

- لا تتركينى يابيجوتى ٠٠ وأبقى جوارى فأنا بحاجة اليك ٠٠ انى أشعر بقرب النهاية ٠٠

- أتركك ؟ ٠٠ هل هذا معقول ٠٠ سابقى معك الى أن أصبح سيدة عجوزا لا أصلح لشيء ٠٠

وأخذت أحكى لهما مارأيته وسمعته من حكايات المدرسة ٠٠ ولكن بيجوتى قالت فجأة وكأنما تذكرت شيئا هاما :

— انى اتعجب ٠٠ ماهى اخبار عمه دافيد
الكبرى ٠٠ مس بيتسى تروتوود ٠٠ ١٩

فقلت امى :

— اعتقد انها مازالت تعيش فى كوخها قرب
البحر ٠٠ ويبدو انها لم تعد راغبة فى مضايقتنا .

— ربما ستغفر الآن لدافيد حكاية انه ولد ولم
يكن بنتا كما كانت تريد ٠٠ خصوصا بعد ان أصبح
لدافيد أخا آخر ٠٠

وعندئذ بدأت امى فى البكاء وقالت لبيجوتى
بصوت حزين :

— لماذا تفكرين فى ارسال دافيد الى عمته الكبرى
مس تروتوود ٠٠ لمجرد أنى ولدت له أخا ٠٠ ؟

وبدا شجار عاصف بين امى وبيجوتى ، ولكنهما
تصالحتا فى النهاية وغفرت كل منهما للآخرى ٠٠
وقالت امى أن بيجوتى هى صديقتها الحقيقية المخلصة .

وسمعنا صوت عجالات احدى العربات وهى تتوقف
عند باب البيت ٠٠ لقد وصل مستر ماردستون وأخته ٠٠
وعندما مد يده ليصافحنى ٠٠ نفس اليد التى عضضتها
س . غرينى ٠٠ رأيت علامة حمراء مكان العضة ٠٠

وعندما كنت أحيى مس ماردستون وأصافحها
بيدى ، سألتنى :

— ما هى مدة الإجازة ؟

فقلت لها :

— مدتها شهر واحد ٠٠

وأحضرت مس ماردستون ورقة وقلم ، وكتبت
أيام هذا الشهر يوماً يوماً ٠٠ وفى كل صباح كانت
تشطب على كل يوم يمر ٠٠

لم تكن إجازة سعيدة بأى حال ٠٠ وكان من
الواضح تماماً أن مستر ماردستون وأخته لا يطيقانى ٠٠
وفى حضورهما كانت أمى تخشى أن تبدر منها أية بادرة

عطف نحوى ٠٠ وكانت تخشى ان اقول كلمة أو افعل
شيئا يسبب المتاعب ٠٠

ولهذا فقد عزلت نفسى فى حجرة نومى ٠٠ وكنت
اقضى وقتى فى القراءة ٠٠ أو فى الجلوس فى المطبخ
مع بيجوتى ٠٠ وعندما يكون مستر ماردستون وأخته
موجودين ٠٠ كنت ألزم الصمت تماما ولا أنبس
بكلمة ٠٠

وقال مستر ماردستون انى ذو شخصية انعزالية
كثيرة ٠ ثم أضاف :

— وعليك ان تغير تلك الشخصية ٠٠ انك تتجنب
الجلوس معنا فى غرفة المعيشة ٠٠ وتنام ٠٠ كما لو كنا
مصابين بأمراض خطيرة ٠٠

ولذلك فقد اضطررت ان أجلس صامتا وحزينا فى
غرفة المعيشة يوما وراء يوم ٠٠ وكنت أتمنى حلول
المساء حتى أتمكن من مغادرة الغرفة والتوجه الى
غرفة نومى لأبقى وحيدا ٠٠ وبعيدا !

واخيرا انتهت أيام الأجازة ٠٠ وقالت مس
ماريستون وهي تشطب آخر خانة فى ورقتها :

– هاهو اليوم الأخير ٠٠ !

ووصلت عربة مستر باركيس الى باب البيت ٠٠
ووضعت فيها صناديقى ٠٠ وعندما قبلتنى أمى ، قالت
لها مس ماريستون :

– كلارا ! ٠٠ كونى حازمة !!

وتحركت العربة ببطء ٠٠

وعندما التفت خلفى ٠٠ رأيت أمى مازالت واقفة
عند باب البيت حاملة على ذراعيها طفلها الرضيع ٠٠
وكانت هذه آخر مرة ٠٠ أرى فيها أمى على قيد
الحياة ٠٠ !

١١ - وفقدت أُمي .

وبعد نحو شهرين من عودتي إلى سالم هاوس .
دخل مستر شارب إلى حجرة الدراسة ، وطلب مني
أن أذهب لمقابلة الناظر مستر كريكل . واعتقدت أن
هدية وصلتني من بيجوتي .

كان مستر كريكل يتناول طعام افطاره . وبجواره
تجلس زوجته وفي يدها خطاب مفتوح . ومالبت مني
مسن كريكل أن أجلس فجلست . وقامت من مقعدها
وجلست بجواري . وقالت :

- هناك شيء أريد أن أخبرك به يا بني .
أمك مريضة جدا . !

بكيت فوراً وانهمرت دموعى ٠٠ ثم قالت مسـز
كريكـل :

– كان مرضها خطيراً للغاية ٠٠
وتوقعت كلماتها القالية :
– لقد ماتت !

وبعد ظهر اليوم التالى غادرت سـالم هاوس .
وعندما وصلت الى يارماوث لاسـتقل عربة مسـتر
باركيس لاحظت أن مسـتر باركيس غير موجود ٠٠ وأن
شباباً بديناً أحمر الوجه قد حل محله ٠٠

واستقبلتنى بيجوتى عند الباب ٠٠ ودخلت بن الى
البيت وهى تبكى وتتحدث فى همس كما لو كانت تخشى
أن توقف سيدتها التى ماتت .

وفى غرفة المعيشة كان مسـتر ماردستون جالسا
يبكى ٠٠ بينما انهمكت أخته فى الكتابة على بعض
الأوراق .

وحضرنا جميعا دفن أمى ٠٠ ووقفنا طويلا عند
قبرها ٠٠

وفى مساء ذلك اليوم . جاءت بيجوتى الى حجرة
نومى . وجلست بجوار سريرى . وقالت :

- لم تعد صحتها فى حالة جيدة منذ مدة طويلة .
ولم تكن سعيدة فى حياتها . كانت تغنى لطفلها
الرضيع بنعومة وحزن . وكانت خائفة بصفة مستمرة .
بل وكان خوفها يزداد يوما بعد يوم . وكانت بعض
الكلمات القاسية التى توجه اليها أحيانا مثل الضربات
الشديدة . وفى احدى الليالى استدعتنى وقالت
لى :

- بيجوتى يا عزيزتى . انسى أعتقد بأننى فى
طريقى الى الموت . لقد تعبت تماما من حياتى . ولو
كان الموت مثل النوم . فابقى بجوارى حتى أنام .
ضعى يديك تحت رأسى وأديرى وجهى
نحوك . أن وجهك يبدو بعيدا بعيدا . وأنا أريده
بقربى

وماتت . كما لو كانت طفلا صغيرا تسلك النوم
الى عينيه . . .

١٢ - بيجوتى تتزوج

وبعد فترة قصيرة من دفن أمى فى قبرها ٠٠ قامت مس ماردستون باستدعاء بيجوتى ، وأخبرتها بأنها لم تعد فى حاجة الى خدماتها ، وأن عليها أن تغادر البيت ٠

وقررت بيجوتى أن تذهب لتعيش فى بيت أخيها حتى تلتحق بعمل آخر مناسب ٠ وقالت لى بيجوتسى وهى تشرح الموضوع :

— والآن ٠٠ اعتقد ان مس ماردستون وأخته

لا يريدانك معهما فى الوقت الحاضر ٠٠ واعتقد
سيسمحان لك أن تذهب، معى ٠٠

وبالفعل ، وافقت مس ماردستون على ذهابى مع
بيجوتى ٠٠

وعندما وصلت عربة مستر باركيس ٠٠ وضعنا
فيها صناديقنا ٠٠ وطوال الطريق كان مستر باركيس
يتصرف بأدب بالغ ٠٠ ولم يتكلم سوى كلمات قليلة
وعندما وصلنا الى نهاية الرحلة فى يارماوث ، انتحى
بى جانباً وسألنى :

— هل تعلم من هو المستعد ؟ ٠٠ « باركيس
مستعد » ٠٠ !!

وبينما كنا نترجه فى الطريق الى بيت أخيها
سألتنى بيجوتى :

— دافيد ياعزيزى ٠٠ ماذا تقول اذا أنا قبلت
الزواج منه ؟

– من مستر باركيس ؟ ٠٠ اعتقد أن هذا سيكون
أفضل شيء ٠٠ فسوف يكون لديك في هذه الحالة عربة
وحصان ٠٠ وتستطيعين دائما أن تحضري لزيارتى ٠٠

ومرت الأيام في بيت مستر بيجوتى ٠٠ أيام متماثلة
كغيرها من الايام التى مضت ٠٠ ولكن لم نعد – أنا
واميلى الصغيرة – نتمشى ونمرح على الرمال ٠٠ فقد
انشغلت الان بذاكرة دروسها بالاضافة الى ماكانت
تؤديه من أعمال البيت ٠٠

ولاشك فى أنها كانت تحبى ٠٠ وتضحك لى
وتداعبنى دائما ٠٠ لقد نضجت الآن ولم تعد طفلة
صغيرة كما كانت من قبل ٠٠

وكان مستر باركيس يحضر كل مساء حاملا معه
هدية لبيجوتى ٠٠ بعض الفواكه ٠٠ أو طير فى قفص
أو قطعة من اللحم ٠٠ أو أشياء أخرى غريبة .

وكان يأخذ بيجوتى للنزهة فى بعض الأحيان .
وحينما كانت تعود من تلك النزوهات كانت تضحك
وتضحك ٠٠



وفى احدى المرات صـحبنا مستر باركيس - أنا
واميلى وبيجرتى - فى عربته ٠٠ وعندما وصلنا الى
الكنيسة توجه هر وبيجرتى الى الداخل وتركانا وحدنا
بالعربة .

وبعد فترة خرجا من الكنيسة ٠ وسألنى مستر
باركيس :

- هل تذكر الاسم الذى كتبته على جانب العربة ٠٠
لقد كان كلارا بيجرتى ٠٠ لقد تغير هذا الاسم الآن
وأصبح : كلارا باركيس ٠٠
لقد تزوجا ١ ٠٠

الجزء الثالث

الشباب ..

١٣ - وخرجت الى العالم

حان الوقت بعد ذلك لكى أعود الى البيت . .
وأخذنى باركيس فى عربته ، وكانت بيجوتى تركب
معنا . . وعندما وصلنا ، انزلانى أمام البوابة وتركانى
وحدى . . وأخذتنى الدهشة حين رأيت العربة تمضى
فى طريقها آخذة معها . بيغوتى دون أن تنزل معى . .

وهكذا بدأت أكثر الفترات ظلاما وشقاء فى تاريخ
حياتى . . فقد كان مستر ماردستون يكرهنى
ولا يطيعنى . وكذلك كانت أخته . . فلم يتحدثا معى
على الإطلاق . . وعشت كالغريب فى بيتى ، وأصبحت

افضل ان أعيش فى أية مدرسة مهما كانت صعبه
الظروف والأحوال ، فهذا أفضل بكثير من الحياة بمثل
هذا الشكل .

وكانت بيجوتى تحضر لزيارتى كل اسبوع ..
وكنتم أقضى وقتى كله بين كتب القصص والروايات ..
وكنتم اعتبر هذه الكتب خير أصدقائى .

وفى أحد الايام وصل الى البيت رجل اسم مستر
كوينيون . واستدعانى مستر ماردستون الى غرفة
الجلوس وقال :

— هذا مستر كوينيون .. الموظف بشركة ماردستون
وشركاه بلندن .. سستذهب لتعمل معه فى مكتبه
بالشركة .. وستعيش هناك فى غرفة مستأجرة بمنزل
أحد الأشخاص .

وهكذا وجدت نفسى فى النهاية جالسا جنبا الى
جنب مع مستر كوينيون فى العرببة المسافرة الى لندن ..
وأنا لم أزل ولدا صغيرا .. يخرج وحيدا الى العالم ..

١٤ - بداية العمل

ركان يعمل فى المكتب ثلاثة أولاد آخرون . . لم
أجارب معهم ، وشعرت بقدر كبير من التعاسة . وفى
هذا اليوم الأول للعمل فى هذا المكتب ، ظللنا نعمل حتى
أساعة الثانية عشرة ظهرا . واستدعانى مستر
كرينيون الى حجرة مكتبه . وهناك رأيت رجلا بديننا
يرتدى معطفا بنى النلون . وكان اسمه مستر ميكابور .

قدن مستر كوينيون :

— هذا هو الغلام . .

هقال مستر ميكابور باهتمام ووقار وادب :

– اذن هذا هو مستر كوبرفيلد ؟ ٠٠ أرجو أن تكون
فى خير حال يامستر كوبرفيلد ٠٠ !

شكرته ، وتمنيت له نفس الشيء ٠ فقال بنفس
الطريقة الوقورة المؤدبة ٠٠

– شكرا لله ٠٠ أنا فى حالة طيبة ٠٠ لقد تلقيت
خطابا من مستر ماردستون يطلب منى فيه أن استضيفك
فى منزلى ٠٠ وستسكن فى احدى الغرف التى
لا احتاجها فى الوقت الحالى ٠

وقال مستر كوينيون :

– لقد استأجرنا لك غرفة فى بيت مستر ميكاوير ٠

وقال مستر ميكاوير :

– عنوانى هو : وندسور هاوس ٠ سىتى رود ،
« وباختصار » فانا أعيش هناك ٠

وقد لاحظت منذ البداية أن مستر ميكاوير كان
يقول العديد من الكلمات بأسلوب معقد قليلا ثم يقول
كلمة « باختصار » ويقول نفس الكلمات بطريقة سهلة



مختصرة ٠٠ كانت هذه هى طريقته المعتادة فى
الحديث ٠ وبهذه الطريقة قال لى مستر ميكاوهر :

– اعتقد أنك لم تتعرف حتى الآن على شوارع هذه
المدينة الكبرى ٠٠ من المتوقع أنك ستجد صعوبة وعناء
حتى تكتشف اسم ٠٠ أعيش فيه ٠٠ وبالاختصار ٠٠
سوف تفقد طريقك وتتوه ولهذا فسوف أحضر فى المساء
لأصحبك معى لأريك الطريق الى هذا البيت ٠

وارتدى مستر ميكاوهر قبعته وغادر المكتب ٠

وعند حلول المساء ، عاد مرة أخرى ليأخذنى معه
الى بيته ٠ وهناك رأيت زوجته مسز ميكاوهر وأبناءه
الأربعة ٠ وقالت لى مسز ميكاوهر :

– لم أكن أظن مطلقا حين كنت أعيش فى بيت
أمى وأبى ٠٠ أن يوما ما سيأتى وأضطرب فيه لتأجير
احدى الغرف فى بيتى ليعيش فيها أحد الغرباء ٠ ولكن
مستر ميكاوهر يعانى من بعض الصعوبات المالية ٠٠
ولا يترك له دائنوه فرصة من الوقت حتى يتمكن من رد
ديونهم ٠٠

كانت مسز ميكاوبر مسكينة حقا ٠٠ وكانت تبذل كل مافي وسعها لمعاونة زوجها فى تلك الأزمة ٠ فقد علقت على باب بيتها لافتة كتبت عليها :

« مدرسة مسز ميكاوبر لتعليم الفتيات » ٠٠ ومع ذلك فلم تحضر الى البيت فتاة واحدة ٠٠ والذين كانوا يحضرون الى البيت هم بعض الدائنين الذين كانوا يصرخون فى وجه مستر ميكاوبر ويطالبونه ببرد ديونهم ٠٠

وكان هناك مجموعة اخرى من الدائنين يصرخون ويهددون مستر ميكاوبر حين كان يسير فى الشارع ٠٠ ومجموعة ثالثة يطلقون تهديداتهم وصراخهم وهم يقفون تحت نوافذ البيت ٠

وحينئذ كان مستر ميكاوبر يشعر بعنتهى التعاسة ويقول أنه يجب أن يقتل نفسه وينتحر ليتخلص من كل ذلك ٠٠ ولكن بعد مرور أقل من نصف ساعة ، كان - ويالللغرابة ! - يشرع فى تنظيف حذائه ، ويخرج من البيت وهو يغنى أغنية مرحة ويشمر بسعادة غامرة ٠

وكانت مسز ميكاوهر على شاكلته ٠ ففي الساعة السادسة مثلا ، أراها راقدة على الأرض وهى تبكى ٠٠ ولكن قبل مرور أقل من ساعة ، كنت أراها فى قمة البهجة والسرور ٠٠ وتحكى لى الكثير من القصص عن أمها وأبيها ٠٠ وعن البيت الذى كانت تعيش فيه قبل أن تتزوج ٠

وفى احدى الأمسيات عاد مستر ميكاوهر الى البيت حزينا ٠ وأخذ يبكى عندما بدأ فى تناول عشاءه ٠ وقال أن الأمور قد تأزمت ولم يعد باقيا سوى أن يرسله دائنوه الى السجن بسبب عجزه عن سداد ديونهم ٠٠

ولكن عندما انتهى مستر ميكاوهر من تناول عشاءه ، أخذ يغنى أغنية مرحة ٠٠ وقبل أن يتوجه الى سريره للنوم ، أخذ يحسب تكاليف عمل نوافذ كبيرة للبيت بدلا من تلك النوافذ الضيقة ٠٠ وذلك عندما تتحسن الأحوال ٠٠ !

ولكن الأحوال لم تتحسن ، بل وأخذ الزوجان يبيعان بعض الأشياء من بيتهما للحصول على الطعام ٠

ولكنهما كانا لا يجسران على الخروج من البيت ومعهما
أى شيء يريدان بيعه ، فقد كان الدائنون يتربصون بهما
ويراقبونهما لمتعهما من بيع أى شيء من حاجيات
البيت .

ولذلك فقد كنت أتولى هذا الموضوع نيابة عنهما .
كنت أخرج من البيت ومعى بعض الكتب أو بعض قطع
الفضيات . . أخبئها فى جيوبى أو تحت معطفى ،
وأذهب لبيعها وأعود سريعا لأعطيها الثمن . .

وأخيرا جاءت النهاية . . وطلب الدائنون ادخال
مستر ميكاوبر الى السجن (١) . وفى تلك الليلة زرته
بالسجن وتناولت معه طعام العشاء . ثم عدت الى
منز ميكاوبر لأواسيها .

وفوجئت بأن الدائنين قد أخذوا كل اثاث البيت ،

(١) كان هناك قانون فى إنجلترا يقضى بسجن المدنيين الذين
يمجزون عن سداد ديونهم . وفى مثل هذه الحالة كان يجوز للسجين
أن يصحب معه أسرته الى السجن حتى تجد طعامها .

ولم يتركوا سوى منضدة وبضع مقاعد قليلة • وقصد
عشنا بعض الأيام وسط هذه البقايا البائسة ، الى أن
اضطرت مسز ميكاوهر الى أن تذهب -ومعها ابناؤها -
لتعيش مع زوجها فى سجنه • واضطرت أنا بالتالى
الى مغادرة البيت . وعشت فى حجرة أخرى فى مكان
قريب من السجن • وقد اعتدت على زيارة مستر ميكاوهر
وأسرته فى السجن كل مساء •

وبعد فترة أطلق سراحهم ، فخرجوا من السجن
وجاءوا ليعشوا معى حيث كنت أعيش • ثم قرروا
الرحيل الى مدينة بلايموث • وفى مساء يوم الأحد
السابق لهذا الرحيل ، تناولنا جميعا طعام العشاء
معا • وألقى مستر ميكاوهر خطبة قال فيها :

- يا صديقى الصغير •• يا صديقى العزيز •• أنا
أكبر منك سنًا •• وأكثر منك خبرة فى الحياة •• والى
آن تنصلح الأحوال •• وهذا ما اتوقعه •• فليس لدى
ما أمنحك إياه سوى نصيحة واحدة •• ونصيحتي هى :
إذا كان دخلك السنوى عشرين حنيتها ، وانفاقك السنوى

عشرين جنيها الا ستة بنسات ٠٠ فسوف تعيش سعيدا
مسرورا ٠٠ أما اذا تجاوزَ انفاقك السنوي العشرين
جنيها ولو بستة بنسات ٠٠ فسوف يحل الشقاء
والخراب ٠٠ ستتذبل الزهور ٠٠ وتجف أوراق
الشجر ٠٠ وتغيب الشمس في الصحراء ٠٠
باختصار ٠٠ ستصبح مفلسا ٠٠ مثلى تماما ٠٠ !!

وحتى يؤكد مستر ميكاويز نصيحته تلك ، أخذ
يغنى ويرقص ٠٠

وفي صباح اليوم التالي ، رحلوا وتركوني وحدي
ولم يعد أمامي سوى أن أقور الذهاب الى عمتي الكبرى
مس بيتسي تروتورد ٠٠ قريتي الوحيدة التي أعرفها

وهكذا جمعت حاجياتي القليلة ووضعتها في
صندوق ٠ وخرجت الى الطريق ٠ وعند احدى النواصي ،
رأيت شابا يقف بجوار عربة فقلت له :

- هل يمكنك أن تحمل هذا الصندوق حتى تضعه
في العربة المسافرة الى دوفر ٠٠ كم تريد مقابلا
لذلك ٠٠ !؟

فقال الشاب :

— ستة بنسات ٠٠

وبالرغم من عدم ارتياحي لمنظر ذلك الشاب ، فقد وافقت ، ووضعت الصندوق على العربة الصغيرة ، التي كان يقف بجوارها ، وأخرجت حافظة نقودي لأعطيه أجره الذي اتفقنا عليه ٠٠ وفجأة انقض الشاب على حافظة النقود وخطفها من يدي ، وانطلق هاربا بأقصى سرعة ٠

وفي اللحظة التالية ، أصبحت مفلسا وبلا نقود ٠٠ ولم أعد أمتلك شيئا في هذا العالم ٠٠ وهكذا بدأت طريقى الى دوفر ٠٠ سيرا على الأقدام !

وعندما وصلت الى بلاك هيث ، قضيت الليل نائما في أحد الحقول بالقرب من مدرستي القديمة سـالـم هـاوس ٠ وفي صباح اليوم التالي عاودت السير حتى وصلت الى روشستر ، ومنها توجهت الى شاتهام ٠٠ وهناك قررت ان أبيع معطفى لأحصل بثمنه على طعام يسد جوعى ٠٠

ثم واصلت بعد ذلك السير حتى وصلت الى
دوفر ٠٠ والى الكوخ الذى تعيش فيه عمى الكبرى ٠٠
ورأيتها وهى تقف فى الحديقة الملحقة بالكوخ ٠٠
وصرخت بمجرد أن شاهدتني اقتراب :

— ابتعد عن هنا ٠٠ لا أريد أولادا فى هذا
المكان !!

فقلت لها متوسلا :

— لو سمحت يامس بيتسى ٠٠ أنا دافيد كوبرفيلد .
لقد ماتت أمى وأصبحت بأئسا ٠٠ !

ثم انفجرت فى البكاء ولم استطع أن أواصل
الكلام . وعندئذ طلبت عمى من الخادمة أن تستدعى
مستر ديك ٠٠

ووصل مستر ديك بسرعة ٠٠ وكان يبدو شبيه
مجنون على نحو ما ٠٠ وقالت له عمى :

— مستر ديك ٠٠ هذا هو دافيد كوبرفيلد !

فقال مستر ديك :

— اورد ٠٠ نعم نعم ٠٠٠

وقالت عمى :

— الآن ٠٠ لا تتظاهر بالجنون بينما أنت فى الحقيقة رجل ذكى ٠٠ هذا هو دافيد كوبرفيلد ٠٠ أخبرنى ٠٠ ماذا أفعل معه ؟ !

فقال مستر ديك وهو ينظر نحوى :

— دعيه يستحم !

وأعطونى حماما ٠٠ ثم تناولنا العشاء معا ٠٠ وحكى لعمى كل ما حدث ٠٠ وكانت عمى مستغرقة فى الانصات ٠٠ ثم قالت :

— انى لا أستطيع أن أفهم لماذا يتزوج الناس ٠٠ ان أمك قد تزوجت ٠٠ ثم تزوجت مرة أخرى ٠٠ وتلك المرأة بيجوتى ٠٠ تزوجت هى الأخرى !

والتفتت عمتي الى مستر ديك وقالت له :
- والآن يا مستر ديك .. أخبرني ماذا افعل معه
ايضا ..
فقال مستر ديك :
- علينا ان نضعه في السرير لينام .. !

١٥ - قرار عمتي

كانت عمتي جالسة الى عائدة الإفطار حين قلت
لى :

- لقد كتبت الى مستر مارديستون : . والآن بعد
أن تناولت افطارك ، عليك بالصعود الى السطح حيث
مستر ديك .

فقلت :

- حاضر !

وقالت :

- انه قريبى .

وقلت :

- هل هو مجنون قليلا ٠٠ ؟

قالت :

- كان أخوه ينوى ايداعه فى دار للمجانين ٠٠
ولكنى انقذته من هذا المصير ، وسمحت له بأن يعيش
فى بيتى ٠٠ انه رجل عطوف جدا ٠٠ وكثيرا مايقول
نصائح طيبة بالرغم من أنه مجنون قليلا ٠٠ فهو يتحدث
كثيرا عن رأس الملك تشارلس المقلوعة (١) ٠٠ وهو
يكتب شكاوى كثيرة يقول أنه ينوى أن يرسلها الى
القاضى ليشرح له فيها أحواله وشئونه وأعماله ٠٠
ولكن رأس الملك تشارلس تظهر دائما لتتدخل فى هذه
الشكاوى ٠٠ ولذلك يبدأ فى كتابة شكاوى أخرى
غيرها ٠٠ !

وصعدت الى السطح ٠٠ الى مستر ديك الذى

(١) كان اتباع كرومويل قد قطعوا رأس الملك تشارلس الأول

٠ م ١٦٤٩

أرانى « طيارة ورقية » ذات خيط طويل ومغطاة كلها
بشكاوى مكتوبة تتحدث عن رأس الملك تشسارلس
المقطوعة • وقال مستر ديك :

– بهذه الطيارة أرسل أفكارى الى العالم ••
وكلما صعدت الطيارة الى عنان السماء •• كلما صعدت
أفكارى الى أعلى وأعلى •• !

وبعد عدة أيام وصل مستر ماردستون وأخته مس
ماردستون الى بيت عمتى •• وجلسا •• وقالت عمتى :
– انت اذن مستر ماردستون الذى تزوج مسز
كوبرفيلد •• ؟

فقال مستر ماردستون :

– نعم •• هو أنا •

وقالت عمتى وهى تشير الى :

– وهذا هو ابنها •• ؟

فقال مستر ماردستون مؤكدا :

- نعم ٠٠ ولقد فر هارباً من اصدقائه بعد أن ترك عمله ٠٠ لقد سبب لنا الكثير من المتاعب !

وعقبت مس مارستون على كلامه قائلا :

- انه دون جميع الأولاد ٠٠ اسوأ ولد فى العالم !

ثم واصل مستر مارستون كلامه :

- لقد جئت لأعيده معى اذا كان هو مستعداً للعودة ٠٠ أما اذا كان غير راغب فى ذلك فسوف أغلق فى وجهه أبوابى ٠٠ واظن أنك فى هذه الحالة ستفتحن له أبوابك !

والتفتت عمتى الى وسالتنى :

- ماه ٠٠ ما رأيك ؟ هل تريد العودة معه ٩٠ !

فاجبت على الفور :

- لا ٠٠ لا ٠٠ انهما يكرهانى ٠٠ ولم يعطفا على أبسدا ٠٠ لقد جعلأ أمى تعيش حياة تعيسة ٠٠ أرجوك ٠٠ أرجوك يا عمتى ٠٠ لاترسلينى معهما ٠٠ !

فالتفتت عمى الى مستر ديك وسأله :

– والآن يا مستر ديك ٠٠ ماذا أفعل معه ٠٠ ؟

واخذ مستر ديك يفكر طويلا ٠ ثم قال :

– يجب أن اشترى له بعض الملابس !

وهنا التفتت عمى الى مستر ماردستون وقالت له :

– سأحتفظ بالولد ٠٠ وأنا لا أصدق كلمة واحدة

مما قلته عنه ٠٠ أنا أعرف ما حدث تماما ٠٠ قبل أن

تتزوج أمه قلت لها انك ستصبح أبا ثانيا لابنها ٠٠

ولكن بعد أن تزوجتها أجبرتها على أن تغير مشاعرها

نحو ابنها ٠٠ لقد كانت امرأة عطوفة طيبة ، ولكنك

كنت تقسو عليها وتقسو على ابنها ٠٠ – تراه لأن

مجرد رؤيته كانت تذكرك بمدى قسوتك ٠

وعندئذ وقف مستر ماردستون بجوار الباب ،

وكان يبدو صاحب الوجه ٠ وقالت عمى :

– وداعا لك ٠٠ وداعا يا مس ماردستون ٠٠ !

وبعد أن رحل مستر ماردستون وأخته .. قبلت
عمتي .. وصافحت مستر ديك .. وقالت عمتي :
- من الآن سادعوك : دافيد تروتوود كوبرفيلد !
وهكذا بدأت حياة جديدة .. باسم جديد ..
وهكذا ذهبت جميع الحوادث التي جرت لى فيما
مضى بعيدا بعيدا .. وأصبحت مجرد ذكريات ..

١٦ - وبدأت بداية جديدة

سرعان ما أصبحت أنا ومستتر ديك اصدقاء مخلصين . وكثيرا ما كننا نخرج معا لتطير « طيارته الورقية » الكبرى . وكان يقضى ساعات طويلة كل يوم يعمل بهمة فى كتابة الخطاب الذى ينوى ارساله الى القاضى . ولكنه كان لاينتهى من هذا الخطاب اطلاقا . لأن سيرة الملك تشارلس الأول كانت تفرض نفسها على موضوع الخطاب مهما حاول هو ان يتلافى ذكر هذه السيرة . وعندئذ كان يتوقف عن الكتابة ، ويشرع على الفور فى كتابة خطاب جديد . وكانت « الطيارة » مصنوعة بأكملها من اوراق

الخطابات التي توقف عن اكمالها والقاهها جانبا .
وعندما كان يشرع فى تطيير « الطيارة » كان يبدو فى
قمة الاحساس بالسلام والسعادة . وعندما كانت
الطيارة تبتمد عاليا فى عنان السماء ، كانت تبدو كما
لو كانت قد ابعدت شعرة الجنون عن عقله . اما حين
كانت تهبط الى الارض وتستقر عليها ، فقد كانت تبدو
فى نظره كشيء ميت لاحول له ولا قوة ، وعندئذ كان
يشعر كما لو أنه قد افاق من حلم . وأنه هو والطيارة
قد هبطا الى الأرض معا . وعندئذ كنت أشفق عليه
وأشعر بالحزن والأسف من أجله .

وأصبحت عملى شديدة العطف على ، واختصرت
اسمى الى « تروت » بدلا من « تروتود » . وفى احدى
الامسيات قالت لى عملى :

- تروت . . يجب الا ننسى موضوع دراستك . .
فهل تحب أن تذهب الى مدرسة فى كانتربرى . . ؟
- نعم . . أحب ذلك كثيرا . .
- عظيم . . هل تحب أن تلتحق بالمدرسة غدا . . ؟

ومكذا سافرنا فى صباح الغد الى كانتربرى ٠٠
وعندما وصلنا الى هناك قالت عمى :

— علينا أن نذهب أولا الى بيت مستر ويكفيلد ٠٠
انه محام !

وتوقفنا أمام بيت قديم جدا ، تبرز نوافذه مطلة
على الشارع ٠ وتؤدي الى يابه درجتان حجريتان
شديدتا البياض ٠٠ أما النوافذ فقد كانت مصنوعة
من مربعات زجاجية صغيرة غريبة الشكل ٠٠

وعندما توقفت العربدة أمام باب البيت ٠٠ رايت
وجها أبيض يطل من احدى النوافذ ٠٠ ثم فتح لنا الباب
رجل اسمه يورياه هيب له وجه أبيض ، وعينان لهما
لون هو مزيج من الأحمر والبني ، وكنتان مرتفعان ،
وذراعان طويلتان نحيفتان ٠٠ وقد لاحظت ذلك عندما
وقف هذا الرجل بجوار الحصان الذى يجر العربدة ،
وبدا يربت على خده ٠٠ وسالته عمى :

— يورياه هيب ٠٠ هل مستر ويكفيلد موجود
بالبيت ٠٠ ؟

– نعم ٠٠ مستر ويكفيلد موجود بالبيت ٠

وأشار إلينا بذراعه الطويلة إلى مكان حجرة الاستقبال ٠٠ وفوق رف المدفأة التي تتصدر الحجرة ، رأيت صورة لجنّتلمان رمادى الشعر ، تقف إلى جانبه سيدة جميلة ذات ملامح طيبة وديعة ٠

وبعد لحظات دخل إلينا مستر ويكفيلد ٠٠ أنه نفس الجنّتلمان الذى يظهر فى الصورة ، وإن كان يبدو الآن أكبر عمرا بيضع سنوات ٠

وقال لعمتى :

– أهلا بك يامس تروتوود ٠٠ ماسبب حضورك إلى هنا ٠٠ ؟

فقلت لعمتى :

– هذا هو دافيد تروتوود كوبرفيلد ٠٠ وأنا عمته الكبرى ٠٠ انى أبحث له عن مدرسة يتعلم فيها جيدا ويعامل فيها معاملة حسنة ٠٠ أخبرنى أين أجد هنا مثل هذه المدرسة ٠٠ ؟ !



وقال مستر ويكفيلد :

- توجد هنا مدرسة جيدة ٠٠ ولكن دافيد لن يمكنه
أن يعيش فيها في الوقت الحاضر ٠٠ ومع ذلك فسأخبرك
بما يجب عليك أن تعمل به ٠٠ أتركه هنا ٠٠ انه ولد
هادى ٠٠ وبيتي بيت هادى ٠٠ أتركه معى فى هذا
البيت ا

فشكرته عمتى شكرا جزيلا ٠٠ وواصل مستر
ويكفيلد حديثه :

- تعالى معى لاريك المشرفة الصغيرة التى تتولى
شئون هذا البيت ٠٠

وصعد بنا الى الطابق العلوى ٠٠ ودخلنا الى
حجرة منظمة ذات رونق جميل ، رأينا فيها فتاة جميلة
فى مثل عمى ، سرعان ما هبت واقفة واتجهت الى مستر
ويكفيلد واخذت تقبله ٠٠ كانت الفتاة تشبه تماما المرأة
الجميلة المرسومة فى الصورة ٠٠ نفس الجمال الهادى
الوديع الذى لم أنسه أبدا ٠٠ بل ولن أنساه أبدا ٠٠

وقال مستر ويكفيلد :

- هذه هى ابنتى أجنس ٠٠

ثم التفت الى ابنته وقال :

- أجنس ٠٠ دافيد كوبرفيلد ضيفنا وسيبقى

معنا ٠٠ من فضلك أريه حجرتة ٠٠

وبعد أن ذهبنا جميعا لنرى الحجرة ، قررت عمى

أن تعود بسرعة الى دوفر لتصلها قبل أن يحل الظلام ٠٠

ولكن قبل رحيلها انفردت بى وقالت تنصحنى :

- تروت ٠٠ حافظ على نفسك وكن محترما ٠٠

وعليك أن تلتزم بكل مايشرفنى ويشرف مستر ديك ٠٠

والله معك ويتولاك ٠ ٠ كن أمينا فى كل شىء ٠٠ وإياك

أن تصبح كاذبا أو مخادعا ٠٠ ولا تكن قاسيا ٠٠ والآن

على أن أرحل فورا ٠٠

وقبلتنى بسرعة ، وخرجت من الحجرة بعد أن

أغلقت على بابها ٠٠ ولذلك فقد اعتقدت أن عمى غاضبة

منى ٠ ولكنى عندما نظرت خلال النافذة التى تطل على

الشارع ٠٠ رأيت كم هى حزينة وهى تدخل الى

العربة ٠٠ لقد تظاهرت بالفضب لتخفى مشاعرها
الحقيقية ٠

وفى المساء تناولت العشاء مع مستر ويكفيلد وابنته
آجنس ٠٠ وبعد أن انتهينا من العشاء ، غنت آجنس
اغنية لطيفة ٠٠ ثم قبلت إياها قبلة المساء وذهبت الى
حجرتها لتنام ٠٠

أما أنا فقد خرجت لأتجول قليلا فى الأماكن
القريبة ٠٠ ورأيت عددا كبيرا من البيوت القديمة
والكنائس ٠ وعندما عدت الى البيت ، رأيت يورياه
هيب وهو يغلّق أبواب المكتب ٠

ولما كنت أشعر بالصدقة والود نحو الجميع ، فقد
جلست قليلا مع يورياه وتحادثنا لبضع دقائق ٠
ومدّدت يدي لأصافحه قبل أن أصدد الى حجرتي ٠٠
وكم كانت يده باردة ٠٠ لقد أخذت أمسح يدي بعد ذلك
كما لو كنت أريد أن أمحو آثار يده ٠

وعندما رقدت على السرير ٠٠ كنت لم أزل أحس
بعقلي ٠٠ ملمس يده الباردة المبتلة ٠٠

١٧ - أجنس

فى صباح اليوم التالى ، ذهبت مع مستر ويكفيلد الى المدرسة . كانت بناء ذا مظهر وقور ، يقع وسط ساحة واسعة . وقدمنى مستر ويكفيلد الى الدكتور سترونج ناظر المدرسة . وكان رجلا غير مهندم ويعلو القراب ثيابه ، وله شعر رأس أطول من المعتاد .

نظر الدكتور سترونج الى بعينين باردتين . وقال انه مسرور لرؤيتى . ومد يده ليصافحنى . وكانت تجلس بجانبه شابة صغيرة شديدة الجمال ، ظننت فى

البداية أنها ابتقته ، وعلمت فيما بعد أنها مسز
سترونج ٠٠ زوجته !

وصحبنى الناظر ليرشدنى الى حجرة الدراسة ،
حيث رأيت نحو أربعة وعشرين تلميذا ، كلهم كانوا
مشغولين بمطالعة كتبهم ٠ ووقفوا جميعا عندما دخل
الناظر ، وأشار الى قائلا :

— هذا زميل جديد أيها السادة الصغار ٠٠ اسمه
تروتود كوبرفيلد ٠٠

وخرج من بين المقاعد صبى اسمه آدمز ٠٠ رحب
بى ٠٠ وأرشدنى الى مقعدى ٠

وشعرت بالغربة بين هؤلاء الأولاد ٠٠ فجميعهم
لا يعرفون شيئا عن تجاربى السابقة ٠٠ كما انى لا أعرف
شيئا عن كيفية ألعابهم وطرقهم فى التعامل ٠٠ وأخذت
أتخيل ماذا يظن هؤلاء الأولاد بى ، اذا علموا انسى
كنت أعيش مع اشخاص مثل ميكابور واسرته ٠٠ أو
اذا كانوا قد شاهدونى حينما سرت على قدمى من لندن
الى دوفر جاثما رث الثياب ٠٠ !؟

لم أشعر بالارتياح بين هؤلاء الأولاد ٠٠ بل ربما شعرت بالخوف منهم ٠٠ لذلك فقد سارعت فى الانصراف عقب انتهاء اليوم الدراسى ٠ وبمجرد وصولى الى بيت مستر ويكفيلد تبذرت مخاوفى وتعباستى ٠ وجلست فى حجرتى المنظمة الجميلة أقرأ فى كتبى حتى حل موعد العشاء ، فنزلت الى الطابق السفلى ورأيت أجنس جالسة فى غرفة المعيشة ٠ وبعد لحظات وصل والدها مستر ويكفيلد ٠ وقال :

— ستكون سعيدا فى مدرسة الدكتور سترونج ١

وبعد الانتهاء من تناول العشاء أحضرت أجنس مجموعة من زجاجات الشراب ووضعتها على المائدة أمام مستر ويكفيلد الذى بدأ على الفور يحتسى الشراب كأسا وراء آخر ٠

وشرب مستر ويكفيلد كمية كبيرة ٠٠ وغنت أجنس بعض الأغانى القصيرة ٠٠ ثم جلست بجوار أبيها وأخذت تحدثه ٠٠

أما أنا فقد أحضرت كتيبى وبدأت فى مذاكرة
دروسى ٠٠ وتفحصت أجنس بعض هذه الكتب ثم
جلست بجوارى لتساعدنى فى المذاكرة ٠

والآن ٠٠ بينما اكتب هذه الكلمات من قصة
حياتى ٠٠ مازلت أذكر تماما كيف أحسست بوداعتها
وطبعها الهادئ ٠٠ وكيف أحسست بصوتها الوديع
العذب وهى تتكلم ٠٠ ومازلت الى الآن أشعر بأفضالها
على فى تلك الفترة وفيما بعد أيضا ٠٠

لقد أحببت من قبل اميلى الصغيرة ٠٠ ولكنى
أصبحت أشعر بالفضل ٠٠ والوداعة ٠٠ والسلام ٠٠
والصدق ٠٠ أينما تكون أجنس ٠٠

١٨ - يورياه هيب . . المتواضع

وبعد ذلك ذهب مستر ويكفيلد الى المكتب ليواصل عمله . . وفى المكتب رأيت ضوءا خافتا . ورأيت يورياه جالسا ويقرأ فى كتاب ضخم . ويتتبع كل سطر يقرأه بأصبعه . فقلت له :

- انك تعمل حتى وقت متأخر هذه الليلة يا يورياه .

- هذا صحيح يا مستر كوبرفيلد . . ولكنى لا أشتغل الآن بأعمال المكتب . . انى أدرس القانون .

- تدرس القانون ؟ كنت أظن أنك محام كبير :

- لا يامستر كوبرفيلد ٠٠ أنا شخص متواضع
جدا ٠٠ وأمي أيضا متواضعة جدا ٠٠ وأعيش معها
فى بيت متواضع ٠٠ وكان أبى أيضا رجلا متواضعا ٠٠
ويعمل فى مهنة متواضعة ٠٠ لقد كان خادما فى
كنيسة ، ويقوم أيضا بحفر القبور فى ساحتها .

فسأله :

- وأين هو الآن ٠٠ ؟

- فى السماء ٠٠ ولكن لدينا أشياء كثيرة نحمد
الله عليها ٠٠ فأنا أحمد الله لأنى أعمل مع مستر
ويكفيلد ٠٠ وأتمنى أن أصبح محاميا .

- وعندئذ ستمشارك مستر ويكفيلد فى مكتبه ٠٠
وسيصبح اسم المكتب « ويكفيلد وهيب » ٠٠

- لا يامستر كوبرفيلد ٠٠ انى متواضع جدا
ولا أجسر على فعل ذلك ٠٠ ان عمك سيدة لطيفة ٠٠
وكان يورياه هيب معتادا على تحريك جسمه عندما



كان يتحدث بكلام طيب عن أى شخص ٠٠ وفعل ذلك
عندما كان يحدثنى عن عمى :

- انها سيدة لطيفة ٠٠ وهى معجبة كثيرا بمس
آجنس ٠٠ أليس كذلك ٠٠ ؟!

فاجبت دون أن ادرى بما أقول :

- نعم ٠٠ نعم ٠

وسألنى يورياه :

- وأنت أيضا معجب بها ٠٠ انا متأكد من أنك
معجب بها ٠٠ ا

فقلت :

- ان أى شخص لابد أن يعجب بها !

- أوه ٠٠ شكرا لك يامستر كوبرفيلد على هذه
الكلمات ٠٠ شكرا لك ٠٠ انها كلمات صادقة !

وقام متاهبا للتصريف ٠ وهو يقول :

– ان امى تتوقع الآن عودتى .. لو اناك فكرت فى زيارتنا فى بيتنا المتواضع .. فسوف يسعدنا ذلك كثيرا .

فقلت له ان ذلك سيسعدنى أيضا . وقال قبل أن ينصرف :

– ربما ستبقى هنا فى هذا البيت يامستر كوبرفيلد لمدة طويلة .. وربما ستتولى العمل بدلا من ماستر ويكفيلد فى النهاية ؟ !

– لا .. أنا لا أفكر فى مثل ذلك اطلاقا ..

– أوه .. أنا متأكد من أن ذلك سيحدث .

ووضع يده فى يدي بيصافحنى .. فأحسست بلمس يده وكأنها سمكة .. وحلمت بذلك فى تلك الليلة ..

١٩ - مدرسة الدكتور سترونج

كانت مدرسة الدكتور سترونج رائعة وعظيمة .
وتختلف تماما عن مدرسة مستر كريكل . وكانت الثقة
متبادلة بين التلاميذ والمدرسين . وكنا نشعر جميعا
باننا مسئولون عن نجاح المدرسة في اداء رسالتها .
ولذلك فقد كنا نحب المدرسة ونعمل كل مايشرفها
ويشرفنا .

وكان بعض التلاميذ يعيشون في بيت الدكتور
سترونج . وهم الذين اخبروني بأن الدكتور قد تزوج

منذ نحو عام مضى من هذه الشابة الصغيرة الجميلة
التي رأيتها معه .

وكان الدكتور يقوم بتأليف أحد الكتب .. ولكنه
كان بطيئا للغاية ، لدرجة الاحساس بأنه لن ينتهي
من تأليف كتابه هذا قبل مرور ألف سنة ! .. ولكنه
كان رجلا طيبا كثير العطف على الفقراء . ويحكي
الأولاد قصة طريفة عن كرمه .. فقد أعطى معطفه لامرأة
فقيرة .. ولكن المرأة باعت المعطف لتشتري بثمنه ضمرا
تشر به .. وبعد مدة ، شاهد الدكتور المعطف معروضا
في أحد المحلات ، فاشتراه دون أن يدرك أنه نفس معطفه
الذي وهبه للمرأة .

واستلمت خطاسبا من بيجوتي كتبت فيه بعض
أخبارها .. قالت أن مستر ماردستون وأخته مع
ماردستون قد رحلا بعد أن أغلقا البيت .. وأن زوجها
باركيس في حالة طيبة ولكنه شديد العرص على
نقوده .. وأن مستر بيجوتي أيضا في حالة طيبة ،

وكذلك هام واميلى الصغيرة ٠٠ أما مسز جاميدج فقد
كانت مريضة ٠

وكانت عمى تفاجئنى بالزيارة فى اوقات غير
متوقعة لترى كيف تسير احوالى ٠٠ ولكنها اطمانت
تماما بعد ان تاكدت من حرصى على التعلم واداء
واجباتى ٠ وكنت اذهب الى دوفر لزيارتها مرة كل
ثلاثة أو أربعة اسابيع ٠٠ أما مستر ديك فقد كان يحضر
لزيارتى بصفة منتظمة كل يوم اربعاء ٠٠ وكان يحمل
معه دائما حقيبة اوراقه وآخر ماكتبه من خطابه العظيم
الذى ينوى ان يرسله للقاضى ٠٠ !

وأصبحت ايام الاربعاء هذه اسعد ايام مستر
ديك ٠٠ اذ سرعان ما اصبحت معروفا ومحبويا من جميع
تلاميذ المدرسة ٠٠ كان لا يشاركهم فى اللعب ، ويكتفى
بمشاهدة العصاب التلاميذ وينفعل بها ٠٠ وكان
يجد متعة عظيمة وهو يتفرج على الأولاد وهم يمرحون
ويلعبون على الثلوج المتساقطة ٠

وكان مستر ديك يجيد صناعة لعب مثل القوارب
والعربات الصغيرة ٠٠ يصنعها من مواد غريبة ويعلم
الأولاد كيف يصنعونها ٠ ولذلك فقد أحبه جميع الأولاد
وأصبحوا ينتظرون موعد مجيئه للزيارة القادمة ٠

وكان يحترم الدكتور سترونج ، ويقف أمامه بأدب
بالغ بعد أن يخلع قبعته ٠٠ وسرعان ما أصبح هو
والدكتور صديقين حميمين ٠ بل وبدأ الدكتور يتلو عليه
بعض صفحات من الكتاب الذى يقوم بتأليفه ٠٠ وعندئذ
كان مستر ديك ينصت بامعان ويشرق وجهه بالسرور ٠٠
بالرغم من يقينى بأنه لايفهم كلمة واحدة مما بقوله
الدكتور ٠٠

٢٠ - تناولت الشاي مع يورياه هيب

وفي عصر أحد أيام الخميس ، قابلت يورياه هيب
في الشارع . فقال لي :

- لقد وعدتني بأنك ستحضر لتناول الشاي معنا
أنا وأمي . ولكنني أتوقع أنك لن تقبل هذه الدعوة .
فنحن ناس متواضعون جدا .

وحتى تلك اللحظة ، لم أكن قد أدركت بعد هل أنا
أحب يورياه هيب أم أكرمه . ولكنني أخبرته بأنني على
استعداد لقبول دعوته . فقال :

- ان أُمي ستكون فخورة بذلك .

وسأله :

– هل مازلت تواصل دراسة القانون ؟

فاجاب :

– ان قراءتى لكتب القانون لا ترقى الى مستوى
لدراسة ٠٠ ففى بعض الامسيات اقضى ساعة
أو ساعتين فى قراءة كتب القانون ٠٠ ولكنى اصادف
عش الصعوبات ٠٠ فهناك بعض الكلمات والمصطلحات
مكتوبة باللغة اللاتينية ولا استطيع ان افهمها ٠٠

– هل تحب أن اساعدك فى تعلم اللاتينية ؟

– اوه ٠٠ شكرا لك يامستر كوبرفيلد على هذا
العرض الطيب ٠٠ ولكنى متراضع وذلك ولا استحقه
هائحن قد وصلنا الآن الى بيتنا المتواضع !

ودخلنا الى غرفة منخفضة السقف ٠ وقالت مسز
هيب (ام يورياه) وكانت تشبهه الى حد كبير وان كانت
اقصر منه طولا ٠ وقد استقبلتنى بتواضع شديد وهى
تقول :

– ان هذا يوم لا ينسى يا عزيزى يورياه ٠٠ ان
حضور مستر كوبرفيلد لزيارتنا يعتبر شرفا كبيرا لنا ٠

ثم التفتت الى وقالت :

– كان عزيزى يورياه يخشى أن يمنعك تواضعنا
وفقرنا من تلك الزيارة التى وعدته بها ٠٠ فنحن
متواضعون جدا وفقراء ٠٠ وسنبقى هكذا دائما ٠٠

فقلت مندهشا :

– ولكنى على يقين من أنه ليست هناك حاجة لان
تكونا متواضعين بهذا الشكل ٠٠

فقالت مسر هيب :

– شكرا لك يا سيدى !

وجلست مسر هيب بالقرب منى ٠٠ وجلس يورياه
أمامى ٠٠ وأخذا يعطينى أفضل قطع الطعام الموجودة
على المائدة ٠

تحدثا عن خالاتهما وعماتهما ، فتحدثت عن

عمتى ٠٠ ثم تحدثنا عن الآباء والأمهات ، فتحدثت عن
أبى وأمى ٠٠ ولكنى توقفت فجأة بعد أن تذكرت أن
عمتى نصحتنى ألا اتحدث فى هذا الموضوع مع أحد ٠٠
ومع ذلك فقد فقدت المقاومة مع يورياه هيبوامه
اللذين استدرجانى الى الحديث فى كل ماكانا يرغبان
معرفة ٠٠ حتى تلك الأشياء التى لم أكن أرغب فى
ذكرها ٠

وعندما انتهيا من معرفة كل ماكان يرغبان فيه ،
حولا مجرى الحديث الى ذكر أخبار مسقطر ويكفيلد
وابنته أجنس ٠٠ الأشغال الكثيرة التى يعملها ٠٠ وكيف
يقضى وقته بعد تناول عشائه ٠٠ والخمر الكثيرة التى
يشربها ٠٠ وهكذا وجدت نفسى متورطا فى ذكر جميع
الاشياء التى لايجب أن أذكرها ٠٠

وبدأت أتململ وأرغب فى انتهاء هذه الزيارة ٠
وفجأة : رأيت رجلا كان يسير فى الشارع ٠٠ ولكنه
توقف أمام باب الحجرة وأطل برأسه الى داخلها ،
وصاح مندهشا :

- كوبرفيلد !! ٠٠ هذا مستحيل !!

كان هذا الرجل هو مستر ميكاوهر بعينه ٠٠ !
والحقيقة انى كنت لا اريد ان يعرف يورياه هيب
ولا امه انى اعرف رجلا مثل مستر ميكاوهر ٠٠ ولكن
هذا الامر انتهى تماما ٠٠ بعد ان استمر مستر ميكاوهر
فى صياحه :

- يا عزيزى كوبرفيلد ٠٠ انها حقا مصافحة
مدهشة !

ثم التفت الى يورياه وامه وقال لهما :

- انها مفاجاة عظيمة ٠٠ لقد اكتشفت ان صديقى
كوبرفيلد يتناول معكما الشاى ٠٠ وسيكون من دواهى
الشرف بالنسبة لى ان يعرفكما بى ويعرفنى بكما ٠٠

فقمعت بذلك على مضض ٠٠

وقالت مسز هيب :

- اننا ناس متواضعون ٠٠ وقد شرفنا مستر

كوبرفيلد بقبول الدعوة لشرب الشاي معنا .. انسا
تشكر له هذا الجميل !

وقال مستر ميكاوير يهيننى :

— والآن .. ماذا تعمل يا كوبرفيلد ؟

فقلت له :

— انى ادرس بمدرسة الدكتور سترونج .

ولانى اصبحت راغبا الان فى انهاء الزيارة فورا
ومصاحبة مستر ميكاوير الى الخارج ، فقد قلت له وانا
اهم بالقيام :

— وكيف حال مسـئـر ميكاوير ؟ .. هل يمكنى
الذهاب معك لزيارتها ؟ ..

فقال وهو يتاهب للانصراف معى :

— سيكون-هذا من دواعى سرورى .

ودهبـت معه الى حانة صغيرة كان يعيش مع زوجته
فى احدى حجراتها . وسالتهما مستفسرا :

— ولكن ٠٠ لماذا جئتما الى هذه المنطقة ؟

فاجابت مسز ميكاوبر :

— بعض أقاربى يقيمون هنا ٠٠ وكنت أتوقع أنهم سيساعدوننا بإيجاد عمل لمستتر ميكاوبر ٠٠ ولكنى شعرت بأنهم غير مسرورين لرؤيتنا ٠٠ وكان الشيء الوحيد أمامنا هو أن نقترض منهم بعض النقود لنتمكن من العودة الى لندن ٠٠ ولكننا توقفنا هنا لعلنا نجد عملا فى صناعة الفحم ٠٠

وقبل أن تنتهى الزيارة طلبا منى أن أقبل الدعوة لتناول العشاء معهما فى اليوم التالى ٠٠ ولم استطع رفض الدعوة ٠٠

وفى عصر اليوم التالى ، استدعيت من حجرة الدراسة ، فخرجت ورأيت مستتر ميكاوبر ينتظرنى ويخبرنى بأن العشاء جاهز ٠٠

وفى المساء رأيت مستتر ميكاوبر ومورياه هيب يسيران معا ذراعا فى ذراع ٠٠ ولم يسرنى هذا المنظر ولم أرتح له ٠٠

وبعد ظهر اليوم التالى ، ذهبت لزيارة مستر
ومسز ميكاوهر فى الحانة ٠٠ وتناولنا العشاء معا ٠٠
واخذ يحدثنى عن يورياه قائلا :

— ان صديقك يورياه هيب ٠٠ له عقل كبير واسع
الادراك ٠٠

وكان العشاء طيبا ٠٠ وكان مستر ميكاوهر فى
غاية المرح ٠٠ وغنى اغنيات كثيرة ٠٠ وعشنا جميعا
لحظات رائعة من الصداقة والود ٠٠ ولا اظن انى رايت
أحدا فى حياتى أسعد وأهنا من مستر ميكاوهر فى تلك
الأمسية •

ومع ذلك ٠٠ ففى الساعة السابعة من صباح
اليوم التالى ، تلقيت هذه الرسالة العاجلة :

« لقد انتهى كل شيء ٠٠ ولم يعد هناك أمل فى
الحصول من أقارب زوجتى على أية نقود ٠٠ لقد
أصبحت عاجزا عن سداد ما أنا مدين به ٠٠ وسيكون
مصيرى السجن فورا ٠٠ وهذا آخر ماسوف تسمعه
عنى » •

اندهشت وشعرت بالخوف والاضطراب بسبب
هذه الرسالة المفاجئة • وانطلقت صوب الحانة لعلنى
استطيع ان اقدم اية مساعدة ••

ولكن بينما كنت منطلقا فى الطريق •• رأيت عربية
السفر الى لندن منطلقة هى الأخرى •• وفى مؤخرتها
كان يجلس مستر ميكاوبر وزوجته •• وكان يبدو فى قمة
السعادة ويقهقه ضاحكا على شىء قالتة مسز ميكاوبر
فيما يبدو •• وكانا ياكلان بعض الحلويات من لفة
ورقية كانت تضعها مسز ميكاوبر على ركبتها ••

الجزء الرابع

المالم ..

٢١ - وتركت المدرسة

انتهت دراستى بالمدرسة ، وأصبح من الضروري
أن نقناقش أنا وعمتى فى موضوع مستقبلى ونوع العمل
الذى سانشغله . وقالت عمتى :

- ان هذا موضوع هام .. وعلينا أن نكون
حريصين ولا نرتكب خطأ .. عليك أن تفكر فى هذا
الأمر كرجل ناضج ، وليس كتلميذ فى مدرسة !

فقلت لها :

- سأفعل ذلك يا عمتى !

- اذن .. اعتقد ان السفر وتغيير الجو سيكوننا
مفيدين .. ان ذلك سيساعدك على التفكير واتخاذ
القرار المناسب .. واقترح عليك ان تقوم برحلة لزيارة
عائلة بيجوتى !

- هذه خير رحلة اقوم بها .. انى احب ذلك
كثيرا ..

وهكذا .. ذهبت اولا الى كانتربرى لودع اجنس
واباما مستر ويكفيلد . وقلت لها :

- ساشعر بالحاجة اليك دائما .. ان اى شخص
يحتاج عونك ، تكونين له خير عون .. يا اجنس !
فقالتمت اجنس :

- انى طيبة مع الجميع .. والجميع طيبون معى .
وقلت لها وانا اشعر بمنتهى الود :

- كلما واجهت مشكلة .. او اذا وقعت فى
الحب .. فسوف اخبرك .. اذا سمحت لى بذلك ..

فقلت :

- ولكنك كنت تقول لى دائما ان امور حبك تسير
على مايرام ..

- اوه .. لقد كنت طفلا واحبيت طفلة .. وانى
اعجب لماذا لم تقمى حتى الآن فى الحب .. ؟

ادارت اجنس عينيها خجلا .. ولكنها بعد لحظة ،
نظرت الى باهتمام وقالت لى :

- هناك شيء اريد ان اسالك عنه .. الم تلاحظ
حدوث اى تغيير طرا على ابنى .. ؟

وكننت بالفعل قد لاحظت حدوث عدة تغييرات .
فهزئت راسى علامة على معرفة بعض الملاحظات .
وسالقتى اجنس :

- هل تستطيع ان تخبرنى بما لاحظت ؟ ..

فقلت بصراحة :

- اعتقد انه يضر نفسه بالاقراط فى تناول

الشراب ٠٠ لقد أصبحت يداه ترتعشان ٠٠ كما أنه أصبح لا يستطيع الحديث بوضوح ٠٠ وكذلك نظرات عينيه أصبحت وحشية وغير طبيعية ٠٠ وقد لاحظت أنه عندما يكون في أسوأ حالاته فإن أحدا يستدعيه دائما لأداء بعض الأعمال ٠٠

– تقصد يورياه هيب ؟

– نعم ٠٠ وكان مستر ويكفيلد يشعر عندئذ بأنه قد أصبح عاجزا عن أداء عمله ٠٠ وفي كل يوم كانت حالته تزداد سوءا ٠٠ وفي إحدى المرات ، رأيته وقد أسند رأسه على المنضدة وكان يبكي مثل الأطفال !

وعندما نويت مواصلة الرحلة الى لندن ، ساعدنى يورياه هيب فى ربط صندوق سفرى .

وأخيرا ٠٠ وصلت الى لندن ٠٠

ونذهبت الى المسرح ذلك المساء ٠٠ وعدت الى الفندق الذى استأجرت غرفة فيه ٠٠ وبينما كنت فى طريقى الى تلك الغرفة ، دخل الى هالة الفندق رجل

أعرفه جيدا . برغم أنه لم يعرفنى لأول وهلة ٠٠ وعلى الفور فاض قلبى وامتلا عقلى بالذكريات الحلوة التى كانت تربطنى فى الماضى بهذا الرجل . فانطلقت اليه وسأله مذهشا :

– ستيرفورث ! ٠٠ ألا تريد أن تتحدث معى ٠٠ ؟

وفى الحال تنبه سيرفورث وقال :

– من ؟ ! ٠٠ كوبرفيلد الصغير ٠٠ ؟

– يا عزيزى سيرفورث ٠٠ كم أنا سعيد برؤيتك !

– وكم أنا أيضا سعيد برؤيتك ٠٠ أن أمى تعيش فى مكان قريب ٠٠ خارج لندن .

وتواعدنا على اللقاء للافطار صباح اليوم التالى .
وقال ستيرفورث عندما التقينا :

– ما رأيك فى البقاء معى فى هاى جيت لمدة يوم أو يومين ؟ ٠٠ انى أحب أن أعرفك الى أمى ٠٠ فهى سيدة طيبة وشديدة الفخر بى ٠٠ وتتحدث عنى دائما .

فاغفر لها ذلك .. وأنا على يقين بأنها ستسر كثيرا
برؤيتك .

وعلى هذا فقد ذهبنا الى هاي جيت بعد عصر
ذلك اليوم .. ووصلنا الى بيت قديم مبنى بالطوب ..
ورأيت سيدة عجوزا كانت تقف عند بابه .. وعرفت
انها ام ستيرفورد .. وقابلتني بترحاب ، وادخلتني الى
غرفة المعيشة .. حيث وجدت سيدة أخرى سوداء الشعر
والعينين ، وعلى خدها علامة تبدو كما لو كانت اثرا
لجرح قديم .. وكان اسم هذه السيدة مس دارتل ..
ولكن ستيرفورد واهمه كانا يدعوانها روزا ..

وعندما أصبحنا وحدنا .. توقعت ان يحدثنني
ستيرفورد عن مس دارتل .. ولكنه لم يقل شيئا ..
هسألته :

— انها تبدو ذكية .. اليس كذلك ؟

فقال علي الفور :

— ذكية ؟ .. انها تزداد صرامة عاما وراء عام ..
انها متطرفة في كل شيء .

- وهذه العلامة الغريبة التى تبدو فى وجهها ٠٠ !؟
- الحقيقة ٠٠ انى كنت السبب فى تلك العلامة
- هل كان ذلك نتيجة لحادث ؟
- كنت عندئذ طفلا صغيرة ٠٠ واغضبتنى فقدفتها بمطرقة ٠٠
- انى اسف ٠٠ لانى تسببت فى هذا الحديث المؤلم ٠٠

فقال ستيرفورت :

- لقد حملت هذه العلامة على وجهها منذ ذلك الزمن ٠٠ وستظل تحملها حتى تذهب الى قبرها ٠٠ !
- انى لاشك فى انها تحبك كاخ لها ٠٠
- اما ممز ستيرفورت فقد كانت تحب ابنها حبا جما ٠٠ وتبدو وكأنها لاتفكر فى اى شىء آخر او لاتحدث عن اى شىء آخر سواه ٠٠ فقد اُرتنى جميع صوره ٠٠ منذ ان كان طفلا صغيرا ٠٠ وحين كان

صبيها يا قنما أيام عرفته لأول مرة فى مدرسة ممستر
كرىكل ٠٠

وكانت تحتفظ بجميع الخطابات التى أرسلها
لها منذ سنوات بعيدة وحتى وقت قريب ٠٠ وكانت تريد
أن تقرأ لى كل هذه الخطابات لولا أن منعها ستيرفورث
من الشروع فى ذلك ٠

وعندما صعدت الى غرفة نومى ٠٠ لاحظت وجود
صورة لمس دارتل موضوعة فوق رف المدفأة ٠٠ وكانت
تبدو كما لو أنها تمنع النظر الى بعينيهما السوداوين ٠٠
وتلقى الى باسئلة شتى ٠٠

وكان هناك خادم هادىء جدا اسمه ليتيمر يبدو كما
لو كان قوقعة أغلقت الصدفة على نفسها ٠٠ وكان
يحضر الى حجرتى كل صباح ليسألنى سؤالا واحد
لايتغير :

- أن مستر ستيرفورث يحب أن يعرف هل قضيت
وقتا مريحا ٠٠ ؟

وكننت اقول له :

- شكرا لك .. انا بخير .. وكيف حال مستر
ستيرفورت ؟

وكان يقول :

- بخير .. هل يمكننى أن أقوم بأية خدمة لك
ياسيدى ؟

- لا .. اشكرك ..

- شكرا لك ياسيدى ..

ثم ينصرف بهدوء شديد ويخرج من الحجرة ..

٢٢ - ستيرفورت يزور عائلة بيجوتى

أصر ستيرفورت على أن يصاحبنى فى رحلتى الى يارماوث لزيارة عائلة بيجوتى . وعندما وصلنا الى تلك البلدة ، وعدته أن نذهب سويا لزيارة العائلة فى المساء ، واستأنفت منه لفترة ، ذهبت فيها وحدى لزيارة بيت مستر باركيس . وهناك شاهدت بيجوتى وكانت منهمكة فى اعداد وطهى طعام العشاء . سألتها :

— هل مستر باركيس موجود بالبيت ؟

فاجابت دون أن يبدو عليها انها عرفتنى :

- نعم ٠٠ هو بالبیت ٠٠ ولكنه يرقد على سريرہ
مريضاً !

ولكنها تنبہت بعد ذلك الى وجودى ٠ فخطت خطوة
الى الوراء وصاحت فى لهفة :

- اوه ٠٠ يابنى العزيز !!

وفى لمح البصر كان كل منا بين احضان الآخر ٠٠
ثم صعدت الى حجرة النوم بالطابق العلوى ٠٠
وفرح باركيس بحضورى لزيارته ٠٠

كان راقداً على ظهره فوق السرير ولا يتحرك الا
بصعوبة شديدة ٠ ولكنه كان قادراً على الكلام بشكل
متواصل ٠ وبينما كان يحدثنى ، جمع كل قواه ، وامسك
بعضاً كانت مسنودة الى جانب السرير ، ثم مدها الى
تحت السرير ليتحسس بها صندوقاً كان موضوعاً فى
ذلك المكان . وبعد أن تأكد من وجود الصندوق فى
مكانه ، فاقه وجهه بالبشر والفرح ٠ وقال لى :

- ملابس قديمة ٠٠ ليس فى هذا الصندوق سر

بعض الملابس القديمة .. كنت أتمنى أن يكون مملوءا
بالنقود ! ..

- وأنا أيضا أتمنى لك نفس الأمنية .

- شكرا .. ولكن ليس فيه الآن الا بعض الملابس
القديمة .

وبعد أن غادرنا الغرفة ، شرحت لى بيجوتى كيف
يحافظ باركيس على أمواله .. وأن أشد اللحظات ألما
بالنسبة له ، تكون حين يحتاج البيت الى بعض النقود ،
فيضطر عندئذ الى فتح الصندوق لاختراجه النقود
المطلوبة ، وقلبه يكاد أن ينفطر حزنا ولما .. !

وبعد العصر ، قابلت ستيرفورت وصحبته معى
لزيرة بيت مستر بيجوتى . واستقبلنا الجميع بفرح
وسرور بالغ . وكان أكثرهم فرحا مستر بيجوتى الذى
صاح بى قائلا :

- هذا شيء مدهش .. مصادفة سعيدة أن تحضر
لزيارتنا هذه الليلة بالذات .. فهذه الليلة دون كل

الليالى ، هى اسعد ليالينا كلها ٠٠ فقد طلب هام من
اميلى الصغيرة أن تتزوجه !!

دق قلبى بشدة حين كنت أسمع هذه الأخبار ٠٠
وحين رأيت السرور باديا على وجه هام بعد أن فاز
بتلك المخلوقة الصغيرة الجميلة ٠٠ وأحسست بفصحة
مؤلة فى قلبى بعد أن تبين لى انى مازلت أحب اميلى
الصغيرة ٠٠ ولكن كل أمل فى هذا الحب قد تبدد فى
لحظة خاطفة .

لزمت الصمت تماما ، ولم أعرف ماذا أقول فى تلك
المناسبة الحافلة بالمشاعر ٠٠ ولكن ستيرفورت قال
الكلمات الصحيحة التى يجب أن تقال فى مثل تلك
المناسبات :

- مستر بيجوتى ٠٠ انك رجل طيب ولك كل الحق
فى أن تكون سعيدا كل هذه السعادة فى هذه الليلة ٠٠
أما أنت يا هام ٠٠ فانى أتمنى لك السعادة والفرح ٠٠
وجلسنا جميعا حول نار المدفأة ٠٠ وأخذ

ستيرفورث يحدث اميلى الصغيرة عن المراكب
والصيادين والسمك .. ثم أخذ يحدث مستر بيجوتى
عن الفترة التى قضيناها سويا فى مدرسة سالم
هاوس .

وطوال هذه الأحاديث ، كانت اميلى الصغيرة تنتظر
الى ستيرفورث باهتمام ، وتنصت بامعان الى كل كلمة
قالها .. لقد ثبتت عينيها عليه وكأنها لم تكن ترى
أحدا سواه !

وامتدت بنا السهرة الى قرب منتصف الليل ..
وقبل أن ننصرف ، تهيأ الجميع لتوديعنا عند باب
البيت .. ثم ظلوا يراقبوننا حتى تلاشى منظرنا فى
ظلام الطريق .

ووضع ستيرفورث ذراعه فى ذراعى وسرنا ..
وبعد لحظة قال ستيرفورث :

— كم هى جميلة تلك البنت الصغيرة .. انهم ناس
مدهشون .. يعيشون فى مكان غريب وبيت
غريب .. انى سعيد بتعرفى واختلاطى بمثل هؤلاء

الناس .. ومن حسن حظنا أننا وصلنا اليهم فى ليلة
تتألق فيها سعادتهم .. ولكنى لاحظت أن هام لا يثير
اهتمام الفتاة .. واعتقد أنها غير فرحة به .. اليس
كذلك .. ؟

أدهشنى سماع تلك الكلمات .. ولكنى لاحظت
أن ستيرفورت يضحك بعد أن قال كلماته .. فقلت له
وأنا أحاول أن أتجاوز تلك الدهشة :

— ستيرفورت .. انى أعرفك جيدا .. انك تحاول
أن تخفى طبيعتك وراء الضحك .. وأنا سعيد لأنك تعرفت
على هؤلاء الناس البسطاء وهم يعيشون أسعد
أوقاتهم .. !

٢٣ - فى يارماوث

قضىنا أنا وستيرفورث نحو ثلاثة اسابيع فى تلك المنطقة . وفى بعض الأحيان كنا نخرج الى البحر مع مستر بيجوتى فى مركبه . ولكنى لم اكن ارى ستيرفورث كثيرا . فد كنت اذهب فى أغلب الأوقات لزيارة الأماكن القديمة والأصدقاء القدامى الذين كنت أعرفهم جيدا وكانت تربطنى بهم ذكريات ماضية .

ذهبت لزيارة بيتنا القديم . . . لقد جفت الحديقة ولم يعد يمتنى بها أحد . وتساقطت الكثير من أشجارها أو اجتثت !

وفي احدى المرات عدت متأخرا اكثر من المعتاد الى بيت مستر بيجوتى ، فلاحظت أن ستيرفورت كان لم يزل جالسا امام المدفأة ومستغرقا فى تفكير عميق . فتقدمت اليه ووضعت يدي على كتفه ، فهب واقفا وقال وقد اخذته المفاجأة :

- اوه .. لقد جئت كما يأتى الشبح !

فقلت له :

- ارى انى اخرجتك من احلام كنت مستغرقا فيها .

فقال بغيرة لاتخلو من حزن :

- كنت اتخيل فى لهيب النار صورا تكاد أن تكون حية .. كنت افكر فى أن كل الناس الذين نراهم الآن سعداء .. سيأتى يوم يتفرقون فيه أو يموتون .. كنت اتمنى وأنا جالس وحدى هكذا لو كان لى أب حكيم ينصحنى أو يرشدنى خلال العشرين عاما الماضية .. ولكن على أن انصح نفسى بنفسى .. وكم اتمنى أن انجح فى ذلك !

لقد أندهشت لحزنه • وسألته السبب فى تلك
الحالة ، ولكنه أخذ يضحك وهو يأخذ بذراعى ويهم
باصطحابى الى خارج البيت • وقال :

— أبدا •• لاشيء •• لاشيء بالمرّة !

ومرت لحظة ثم قال مواصلا الحديث :

— هل تعلم أنى اشتريت قارباً سأقوم بتشغيله فى
هذه المنطقة •• !؟

قصحت مندهشاً :

— يالك من شخص غريب يا ستيرفورت •• لماذا
فعلت ذلك •• وربما لا ترغب فى زيارة هذه المنطقة مرة
أخرى ؟ !

فقال على الفور :

— لا •• صدقنى •• لقد أحببت المكان ••
واشتريت القارب لأظل بهذه المنطقة •• وسيقوم
مستر بيجوتى بالعناية به وتشغيله فى الفترات التى

لا اكون فيها هنا .. ولابد ان اعيد طلاء القارب ..
وساكلف ليتيمر ان يقوم بهذا العمل .. هل تعلم يانه
جاء الى هنا ؟

- لا ..

- لقد وصل هذا الصباح .. ان القارب اسمه
الآن « طائر العاصفة » .. وسوف اطلق عليه اسما
جديدا ..

- ماذا تقوى ان تسميه .. ؟

- ساسميه « اميلى الصغيرة » .. !!

- ولكن .. أين ذمبوا جميعا .. انى لا ارى احدا
منهم فى البيت ؟

فقال ستيرفورت فجأة :

- هاهم .. انظر هناك .. لقد عادت اميلسى
الصغيرة « الأصلية » .. ومعها هام ..

وعندما رأت اميلى الصغيرة ستيرفورت عن بعد ،

انزلت نزارها من نزار هام ٠٠ وسارت وحدها وظهر
عليها شيء من الاضطراب ٠

وفجأة ظهرت سيدة شابة ٠٠ كانت تبدو وكأنها
تتبع خطوات اميلي وهام ٠٠ وكانت ترتدى ملابس رثة
فقيرة ، وتظهر في وجهها ملامح حزينة ٠ فقال
ستيرفورت :

- اني مندهش ٠٠ من هي هذه المرأة ذات الظل
الاسود ٠٠ ولماذا تتبع خطوات الفتاة ٠٠ ماذا يعنى
هذا ٠٠ ومن اين جاءت هذه المرأة ٠٠ ؟ !

وكنا قد وصلنا الى الحانة ، فدخلنا وتناولنا طعام
عشائنا ٠٠ وبعد ان انتهينا من ذلك ، وصل ليطيمر وقال :

- لقد وصلت مس ماوشير الى هنا ٠٠
فتساعل ستيرفورت :

- وماذا تفعل هنا ٠٠

فاجاب ليطيمر :

- يبدو انها تعمل فى هذه المنطقة ايضا ٠

وفتح باب الحانة . ودخلت امرأة ضئيلة الجسم ،
فى حوالى الأربعين أو الخامسة والأربعين من
عمرها ٠٠ فاستدعاهما ستيرفورث لكى تقص له شعره ٠
فهى حلاقسة تمتهن حرفة العناية بشعر الرجال
والسيدات وكانت تحمل حقيبة أخرجت منها مجموعة
من الزجاجات وعدة أشياء أخرى ، وشرعت على الفور
فى عملها ٠٠ ولكنها لم تتوقف عن الحديث لحظة
واحدة ٠٠ وأخذت تحكى قصصا وأخبارا عن جميع
السيدات الجميلات من زبائننا ٠ ولكنها قالت :

- آه ٠٠ يبدو انى لن أجد عملا هنا ٠٠ فلم أر أية
سيدة جميلة منذ أن وصلت الى هنا ٠٠

فقال ستيرفورث :

- اعتقد ان باستطاعتنا أن نريها إحدى الجميلات
اللاتى يعشن فى هذه المنطقة ٠

فقلت مصدقا على قوله :

- نعم ٠٠ انها شابة جميلة ٠٠ اسمها اميلى ٠٠
يامس ماوشير ٠

فقالته الحلاقة :

— آهاه !

ولم استرح الى منظر هذه الحلاقة ولا الى طريقته
فى الكلام . ولذلك فقد قلت بنغمة أكثر جدية :

— انها حقا جميلة ، ولكنها طيبة أيضا . . . ولقد
وعدت بالزواج شخصا من مستواها ويناسبها تماما . . .
اسمه هام

فقالته مس ماوشير :

— اوه . . . حقا . . . هذا شيء رائع !

وجمعت الحلاقة زجاجاتها وأدواتها ووضعتها فى
الحقيبة . . . واعطاها ستيرفورت أجرها . . . ثم انصرفت
وهى تواصل الكلام حتى آخر لحظة .

وذهبت بعد ذلك الى بيت مسستر باركيس . . .
واندهشت عندما رأيت هام يتمشى جيئة وذهابا خارج
البيت . وقال عندما رأتى :

— ان اميلى بداخل البيت . . . انها تتحدث مع
انسانة كانت تعرفها فى الماضى . . . ولا يجب أن تعرفها

الآن ٠٠ امرأة مسكينة يامستر دافيد ٠٠ والناس فى هذه
المدينة الصغيرة لا يعرفون عنها شيئاً ٠٠

– لقد رأيت هذه المرأة ٠٠ وكانت تتبع خطواتكما ٠

– اوه ٠٠ نعم ٠٠ لقد وقفت تحت نافذة اميلى
ونادت عليها : اميلى ٠٠ اميلى ٠٠ اشفقى على ٠٠
لقد كنا زميلتين نعيش سويا نفس الحياة ! ٠٠ فطلت
اميلى من النافذة وقالت : من ٠٠ اهذه انت يامارتا ؟
لقد كانت اميلى تعمل مع مارتا هذه فى متجر مستر
أومار ٠٠ ورتبت اميلى أن تلتقى مع مارتا هنا ٠٠ فى
هذا البيت ٠

وانفتح باب البيت وظهرت بيجوتى ٠٠ واستدعت
هام لدخول ٠٠ وكانت تبكى ٠٠ وكذلك كانت تفعل
اميلى ٠٠ وقالت لهام :

– انها تريد الذهاب الى لندن ٠٠

فأعطاها هام بعض النقود ٠٠ وهبت مارتا واقفة ٠
وكانت تحاول أن تتكلم بشيء ٠٠ ولكنها لم تفعل ولم
تستطع ٠٠ وانصرفت وهى تبكى ٠٠

٢٤ - حفلة مرحلة

رتبت عمتي أمر تدريبي على أعمال المحاماة لدى
مكتب « سنبلو وجوركينز » بلندن ٠٠ ودفعت للمكتب
أجر تعليمي هذا العمل ٠

وهكذا أصبحت أعيش في شقة مستقلة تقع بمبنى مجاور
للمكتب ٠٠ وكم هو جميل أن يشعر الإنسان انه يعيش
في مكان مستقل لا يشاركه فيه أحد ٠٠ ولكن وبالرغم
من ذلك فقد كنت أشعر كثيرا بقسوة الوحدة ٠٠

وذات صباح فوجئت بحضور ستيرفورث ٠ فصحت
فيه مرحبا :

- يا عزيزي ستيرفورث .. كنت أظن أنني لن أراك
أبدا .. هل تبقى لتتناول الإفطار معي .. ؟

- لا لا .. لا أستطيع .. فأنا على موعد مع
بعض الأصدقاء .

- ستحضر إذن لتتناول معي طعام العشاء ؟ !

- لا أستطيع .. فلا بد أن أقضى الليلة مع اثنين
من أصدقائي ..

- ولماذا لاتدعو صديقك لتتناول العشاء جميعا
هنا .. ؟ !

فوافق ..

وهكذا أعدنا حفلة عشاء مريحة ، تناولنا فيها
الكثير من النبيذ .. وأفرطت في الشراب حتى أصبحت
أكثر مرحا وابتهاجا .. وألقيت خطبة .. كما ألقى
ستيرفورث خطبة أخرى .. ثم شربنا نخب الجميع
فردا فردا ..

ثم توجهنا جميعا الى المسرح ٠٠ وهناك رايت
أجنس ٠٠ وعندما التقت عيوننا ، لاحظت ملامح الحزن
والدمشة تتبدى واضحة على وجهها ٠ ومع ذلك فقد
صحت مهللا :

— أجنس ٠٠ أجنس ٠٠ هذا شيء عظيم ان أرى
أجنس !!

فقلت على الفور محاولة أسكاتي :

— الصمت ٠٠ لاتصنع كل هذه الضجة ٠٠ !
فصحت متدهشا :

— أجنس ٠٠ ؟ !!

فقلت بصوت منخفض :

— انك في حالة غير طيبة ٠٠ اسمع ٠٠ ان عليك
ان تنصرف الآن ٠٠ !

فقلت بصوت غبي :

— انصرف الآن ٠٠ لماذا ؟ !

فالت بحزم :

- اسمع .. انى اعرف انك ستطيعنى .. عليك
ان تتصرف الآن .. اطلب من اصدقائك ان يصحبوك الى
بيتك .

وفى صباح اليوم التالى ، وبينما كنت اتاهب
للخروج من البيت ، تلقت رسالة من اجنس :

« عزيزى توتوود »

انى اقيم مع مستر ومسز ووتربروك ، فى ايلنج
بليس ، هولبورن .. هل تاتى لزيارتى اليوم ؟ »

وكتبت خمسا او ست اجابات على تلك الرسالة ..
محاولا الاعتذار وابداء الاسف على ماحدث منى ليلة
الامس بالمسرح .. واخيرا كتبت :

« عزيزتى اجنس »

ساحضر فى الساعة الرابعة بعد الظهر ..

وفى الساعة الرابعة تماما ، دخلت الى حجرة

الاستقبال حيث كانت أجنس جالسة فى هدوء وفى حالة
طيبة - فبادرتها باعذارى واسفى :

- كنت اتمنى الا ترينى فى الحالة التى كنت بها
ليلة الأمس .. أنت دون كل الناس ..

فوضعت يدها على ذراعى وقالت :

- اجلس .. ولاتكن تعيسا هكذا .. اذا كنت لاتثق
بى ، فمن ذا الذى ستثق به اذن .. ؟!

- اوه يا أجنس .. أنت خير أصدقائى !

- اذا كنت خير أصدقائك حقا ياتروود .. فهناك
شئ أريد أن تنبه اليه جيدا .. أريد أن أذكرك من الد
واسوا أعدائك .. اقصد ستيرفورت .. فان له تأثيرا
عليك فى غاية السوء .. !

فقلت لها مندهشا :

- ياعزيزتى أجنس .. انك تظلمينه بمثل هذا
الظن .. فليس من العدل أن تحكمى عليه بهذا الحكم
بسبب ماحدث ليلة الأمس ..

— ليس لهذا السبب وحده .. بل هناك اسباب
اخرى غير ذلك ..

ثم صممت لحظة وقالت :

— يجب الا تنسنى .. يجب الا تنسى انك
وعدتني بانك سوف تخبرنى اذا وقعت فى مشكلة او
وقعت فى الحب .. !

ثم سالتنى ان كنت قد رايت يورياه وهى تقول فى
نفس الوقت :

— انى متأكدة من انه سيصبح شريكا لأبى فى
المكتب !

فصحت مندهشا :

— ماذا ؟ .. هل سيصبح هذا الشخص شريكا
لأبىك فى مكتبه ؟ .. !

فقالتم اجنس :

— نعم .. وأنا أخشى ان يكون ذلك على غير رغبة
أبى .. لقد أصبح أبى يخاف منه .. أنه قد سيطر على

أبى تماما ٠٠ لقد بدأ أبى يفقد اهتمامه بالعمل رويدا رويدا ٠٠ وأصبح لا يهتم إلا بى أنا وحدى ٠٠ حتى أصبحت أحس بأننى السبب فيما لحقه من فشل فى عمله ٠٠

وبعد ذلك بعدة أيام دعيت لحضور حفلة فى ووتربروكس ٠٠ وقابلت يورياه هناك ٠٠ وظل ملازما لى منذ بداية الحفلة حتى نهايتها وحتى انصرفت ٠ وكانت أجنس قد طلبت منى أن أكون لطيفا معه ٠ ولذلك فقد صحبته الى شقتى ، حيث قدمت اليه بعض القهوة ٠

وقال يورياه بطريقته المعروفة :

— اوه يا مستر كوبرفيلد ٠٠ أراك تقوم بخدمتى وتقديم القهوة الى بنفسك ٠٠ ان هذا اكثر مما اتوقعه ٠ ولكن على أية حال فقد حدثت أشياء كثيرة لم أكن اتوقعها ٠٠ انى أتمنى أن أكون قادرا على معاونة مستر ويكفيلد ٠٠ لقد أصبح غير عاقل بالمرة ٠٠ ولو كان هناك شخص آخر غيرى يعمل مع مستر ويكفيلد خلال السنوات القليلة الماضية ، لكان قد سيطر عليه تماما ٠٠

وعندما كان يقول هذه الجملة الأخيرة ، أغلق
قبضة يده بقوة ، وكأنه كان يعصر شيئا بين أصابعه ..
ولذلك فقد كرمته ..

ثم عاود يورياه حديثه قائلاً :

- أن ممس أجنس كانت جميلة جدا هذه الليلة !

فقلت مصدقا على كلامه :

- انها تبدو هكذا دائما .. أنبل وأجمل من أية
انسة أو سيدة تكون بجانبها أينما كانت !

فقال يورياه :

- شكرا لك !

فقلت له على الفور :

- ليس هناك سبب لتشكرنى على ذلك .

قال :

- هناك سر سأخبرك به .. فبالرغم من انى
شخص متواضع وبسيط .. فانى أعشق التراب الذى
تسير عليه عزيزتى أجنس !

وتمنيت لو انى قتلتته بعد ان قال هذه الكلمات ..
ولكنه استمر فى حديثه :

- انها تحب اباهما حبا جما .. ولأجل ذلك فانى
أتوقع أن تستجيب لى وتعطف على .. !

وهكذا اكتشفت خطته .. فقد سيطر يورياه على
مستر ويكفيلد تماما حتى يجبره على أن يعطيه أجنس
روجة له .. واستمر يورياه فى الحديث :

- ولكن لاداعى للمجلة فى هذا الأمر .. ان
عزيزتى أجنس مازالت صغيرة ..

وفى تلك الليلة نام يورياه على مقعد فى غرفة
الجلوس بشقتى .. وحلمت بأن أجنس تقوسل الى
لكى انقذها من هذا المصير ..

وعندما استيقظت فى صباح اليوم التالى ، دخلت
فوراً الى غرفة الجلوس . فرايت يورياه مازال ممددا
فوق المقعد .. تتدلى ساقاه على الأرض .. وفمه
مفتوح عن آخره ..

وكان يوسمى ان أقتله .. ! !

٢٥ - دورا ٠٠

فى كل يوم ، كنت اذهب الى مكتب مستر سينلو للتدريب على العمل . وبعد مضى بعض الوقت ، دعانى مستر سينلو للذهاب معه الى بيته الريفى . وعندما وصلنا سال مستر سينلو احد الخدم :

- اين مس دورا ؟

فقلت فى نفسى :

- دورا ؟ ياله من اسم جميل !

وعندما دخلنا الى اقرب حجرة بالبيت ، قال لى مستر سينلو :

– مستر كوبرفيلد ٠٠ هذه هى ابنتى دورا ٠٠
وما أن وقعت عينى عليها حتى أحببتها بجنون من أول
نظرة ٠٠ ! وأشار الى سيدة أخرى وقال :

– وهذه صديقه لابنتى ٠٠

فقالَت السيدة :

– انى أعرف مستر كوبرفيلد من قبل ٠٠ !

كانت هذه السيدة هى مس مارلاستون !!

وفى صباح اليوم التالى ، استيقظت مبكرا وخرجت
الى الحديقة ٠ وهناك قابلت دورا ٠ فقلت :

– لقد خرجت الى الحديقة مبكرة يامس سبنلو ٠٠

فاجابت بنعومة :

– نعم ٠٠ فى صباح كل أحد ٠٠ لا أواظب على
تمريناتى الموسيقية ٠٠ ان الصباح هو أشرق أوقات
اليوم ٠٠

فقلت :

- وهذا الصباح هو أشرق الأوقات كلها ..
بالنسبة لى !

ومن أحد ممرات الحديقة .. جاء كلب صغير يجرى
نحو دورا .. فرفعته بيديها وضمته الى صدرها ..
فقلت فى نفسى : كم هو محظوظ هذا الكلب !

ومضى النهار كله جميلا مادنا .. حيث خرجنا
جميعا للنزومة .. وفى فترة المساء جلسنا فى حجرة
المعيشة نقرأ فى بعض الكتب ونشاهد بعض الصور ..
وقبل أن اتوجه لحجرة النوم ألقىت تحية المساء على
مستر سبنلو وقلت له : تصبح على خير ..

ولم يعرف مستر سبنلو أنئذ ، انى أصبحت أنظر
اليه باعتباره والدا لزوجتى مستقبلا .. !!

٢٦ - ستير فورث يعود

عدت الى شقتى بلندن ٠٠ وجاء مستر ومستر
ميكاوير لتناول العشاء معى ٠٠ وكانت حفلة ممتعة
بهيجة ٠ وكنت قد قابلت « ترادلز » صديق طفولتى
وزملى فى مدرسة سالام هاوس ٠ فدعوته للحضور
الى تلك الحفلة قلبى الدعوة وأزدادت بهجتنا ٠٠ وفجأة
دق الباب ٠٠ ودخل ليتيمر خادم ستير فورث ٠ فسأله
مدهشاً :

— ما الأمر ٠٠ ماذا حصل ؟

لأجاب بهدوئه المعتاد :

- عفوك ياسيدى ٠٠ لقد أمرت بأن أحضر الى هنا ٠٠

- وهل سيدك هنا ٠٠ ؟

- لا يا سيدى ٠٠

- هل رأيته هنا ٠٠ ؟

- عفوك ياسيدى !

- هل سيحضر مستر ستيرفورت من أكسفورد ؟

فتحاشى الإجابة على سؤالى وقال :

- أظن انه سيحضر الى هنا غدا ٠٠

فسالته محاولا معرفة المزيد بوضوح :

- ليتيمر ٠٠ هل بقيت طويلا فى يارماوث ؟

- ليتيمر ٠٠ هل بقيت طويلا فى يارماوث ؟

- لا ياسيدى ٠٠ ليس طويلا جدا ٠٠

-- وهل انتهيت من اعداد القارب الذى اشتراه
مستر ستيرفورت ؟

-- نعم يا سيدى ..

-- وهل رأى مستر ستيرفورت القارب بعد اعداده ؟

-- لا استطيع أن اقول ياسيدى .. تصبحوا جميعا
على خير !

وانصرف .. وارتعنا جميعا لانصرافه .. ولم
أعد اثق فى هذا الرجل .

وبعد ان انتهت الحفلة وانفض الجمع .. جلست
وحيدا بجوار المدفأة وأنا أفكر فى أمر مستر ومسترز
ميكاوبر .. وفجأة سمعت وقع خطوات صاعدة على
السلم .. وظننت فى البداية أن القادم هو ترابلز ..
ولكنى تبينت بعد ذلك أنه ستيرفورت ، الذى قال قور أن
رأبى :

-- أراك عدت الى عمل الحفلات من جديد .. لقد

رايت ضيوفك وهم يتحدثون بصوت مرتفع عن كرمك
وفضلك ويثنون عليك ..

وقدمت اليه بعض الطعام .. فجلس الى المائدة
وهو يقول :

- هاهو عشاء يليق بملك ..

ثم اضاف بعد لحظة :

- لقد جئت قادما من يارماوث ..

- ظننتك قادما من اكسفورد ..

فقال وهو يواصل تناول الطعام :

- لا .. لقد استخدمت القارب الذى اشتريته ..
على فكرة .. معى خطاب مرسل اليك .. ان مستر
باركيس العجوز مريض جدا ..

وناولنى الخطاب ، فقرأته على الفور . وقلت :

- اعتقد ان من الضرورى ان اذهب لاراهم !

وعندما تها ستيرفورث للانصراف قلت له مودعا

- تصبح على خير يا عزيزي ستيرفورث .. انسى
ذاهب لرؤيتهم غدا .

ورضع كلتا يديه فوق كتفي وقال قبل ان ينصرف :

- تصبح على خير .. ولكن اذا حصل اى شيء
يفرقنا .. فارجو ان تفكر فى حسناتي دون سيئاتي !

قلت له :

- كله حسنات بالنسبة لى ..

قال :

- ليباركك الله .. وتصبح على خير .. !

٢٧ - باركيس يذهب مع الموج ٠٠

وصلت الى يارماوث ٠٠ وتلفتني بيجوتى بين
ذراعيها ، شاكرة لى حضورى لزيارتها فى هذا الوقت
المصيب ٠٠ وشكرتني على ذلك مرات ومرات ٠٠ وقالت
ان مجرد حضورى قد سبب لها الكثير من الراحة
والمكنة ٠٠ وان مستر باركيس يشعر نحوى بكثير
من الحب والتقدير ، وانه يتحدث عنى دائما بكلام
طيب ٠٠ وقالت ايضا انه الآن مستغرق فى النوم ،
ولكنه عندما يستيقظ ويرانى سيسعد كثيرا وتعود اليه
بهجته ٠٠

ولكن إذا واضحا انه لا يوجد شيء فى الدنيا يمكن
أن يعيد البهجة الى مستر باركيس ٠٠ لقد كان فى دور
الاحتضار ٠٠ يرقد غائبا عن الوعي وقد أسند رأسه
وكتفيه على مقعد بجانب السرير ، بينما بقية جسمه
ممددة فى ضعف على السرير ، وعلى المقعد كانت
ذراعاه تحيطان بصندوقه العتيد الذى كان يقول دائما
أن محتوياته مجرد « ملابس قديمة » ٠٠

لقد أصبح الآن ضعيفا غير قادر على الحركة ٠٠
أصبح عاجزا عن الإمساك بالعصا التى كان يتحسنى
بها صندوقه العتيد الموضوع تحت سريره ، لذلك
فقد طلب منهم أن يضعوا الصندوق على ذلك المقعد
الملاصق للسرير حتى يصبح أقرب ما يكون اليه ٠٠

وما هو ذا راقد على السرير يحتضر فى هدوء ٠٠
ويحاول أن يحتضن صندوقه فى يأس وبلا عافية ٠٠
والحياة تتسلل فى بطء خارجة من جسده الواهن
الضعيف ٠٠ وكانت آخر كلماته التى سمعناها بوضوح
« مجرد ملابس قديمة » ٠٠ !

وقالت بيجوتى بصوت حزين :

- باركيس ٠٠ ياعزيزى ٠٠ هامو مستر دافيد
قد جاء ليسراك ٠٠ باركيس ٠٠ هل تريد أن تتحدث
اليه ٠٠ ؟!

ولكن الصمت العميق كان يلفه ٠٠ وجاهد بأخر
انفاسه لكى يقول شبيثا ٠٠ ونطق بالفعل بقليل من
الكلمات المتقطعة غير الموصولة ٠٠ عن ذكرى قيادته
للعربة عندما كان يأخذنى الى المدرسة ٠٠

وفجأة فتح عينيه ٠٠ والتفت نحوى ٠٠ وأضاء
وجهه بابتسامة راضية وقال فى وهن وبصوت ضعيف
لايكاد يسمع :

- « باركيس مستعد » ٠٠ !!

وكما تزحف الموجة على رمال الشاطئ ، ثم
تنسحب عائدة الى أعماق البحر ٠٠ ذهب باركيس مع
الموج ٠٠ ولكن بلا عودة !

٢٨ - هروب أميلي

كان المطر ينهمر بشدة حين كنت متوجهة نحو بيت
عائلة بيجوتى ٠٠ وكان القمر مختفيا وراء السحب ٠٠
ورأيت ضوءا يتسلل من إحدى نوافذ البيت ٠٠ وطلقت
الباب ٠٠

كان مستر بيجوتى جالسا بجوار المدفأة يدخلن
غليونيه ٠٠ وكانت بيجوتى جالسة بجواره تفيط بعض
الملابس ٠٠ أما معنز جاميدج فقد كانت جالسة في
صمت في ركن من الغرفة ٠

قلت موجها الحديث الى بيجوتى :

– والان يا عزيزتى ٠٠ كيف حالك ؟ !

فقال مسرّعاً بيجوتى كما لو كان يحرص على
الاجابة بدلا من اخفه :

– لقد تقبلت الامر ببساطة ٠٠ لقد أدت واجبها
نحو باركيس ٠٠ كما أن باركيس قد أدى واجبه نحوها .
والأحوال على مايرام ٠٠ !!

ثم قام ٠٠ وأحضر شمعة اشعلها ووضعها
خلف زجاج النافذة . وقال بصوت ملؤه الصديق :

– انى اشعل هذه الشمعة كل مساء لترشد
صغيرتنا اميلى حين تعود من عملها الى البيت ٠٠
وسأظل اشعل شمعة كل يوم فى مثل هذا الوقت حتى
بعد أن تتزوج اميلى من تام ويصبح لهما بيت مستقل .
سأشعل الشمعة كل مساء وسأجلس هنا بجوار المدفأة
واتظاهر بأنى انتظر قدومها ٠٠ تماما مثلها افعل الآن .
فكلما أرى هذه الشمعة مضاءة خلف الزجاج ٠٠ أقول
لنفسى ان اميلى ترى نورها وهى عائدة الى البيت ٠٠

ولكى اثبت لك فولى أنظر الآن ٠٠ ها هي اميلي
قد وصلت ٠٠ !

ولكن الذى وصل ، كان هام وحده ٠٠

فسأله مستر بيجوتى مستفسرا :

- هام ٠٠ أين اميلي ؟ !

فعمل هام حركة برأسه ٠٠ كما لو كان يريد أن
يقول أنها بالخارج ٠٠ ثم تقدم هام الى وقال :

- مستر دافيد ٠٠ هل تسمح بالخروج معى دقيقة
واحدة لترى ماذا احضرنا لك أنا واميلي ٠٠ ؟ !

وعندما خرجت معه من باب البيت ٠٠ لاحظت أن
وجهه شاحب شديد البياض ٠٠ وأسرع بغلق الباب
وانفجر فى البكاء فسأله ملقاعا :

- هام ٠٠ ماذا حدث ؟ !

وارتفع بكأؤه أكثر وأكثر وهو يقول :

- مستر دافيد ٠٠ مستر دافيد !

- هام ٠٠ أيها الصديق المسكين ٠٠ أخبرنى ماذا
حدث !

عندئذ تحامل على نفسه وقال فى ياس :

- حبى يامستر دافيد ٠٠ عروسى التى كانت أملا
لقلبى ٠٠ اميلى الصغيرة ٠٠ لقد هربت !!
- هربت ٠٠ ؟!

- نعم يامستر دافيد ٠٠ هربت ٠٠ أخبرنى بالله
عليك ٠٠ ماذا أقول لهم ٠٠ ماذا أقول للناس ٠٠ ؟!

وهنا فتح الباب وخرج الينا مستر بيجوتى ٠٠ ولن
أنسى ما حييت ذلك الشحوب الذى بان على وجهه ٠٠
ولا منظره حين أخذ يصيح ويهدد جميع النساء ٠٠

وقفت حائرا لا ادرى ماذا أقول أو ماذا أفعل ٠٠
وكنت ممسكا بيدى الرسالة التى اعطانى اياها هام حين
كنا خارج البيت ٠ وبعد فترة من الصمت الحزيب
قال هام :

- اقرأ الرسالة ياسيدى ٠

وبعد صمت يشبه الموت ٠٠ بدأت أقرأ ببطء :

« عندما تقرأ يا من تحبني كثيرا هذه الرسالة ٠٠
سأكون قد ابتعدت بعيدا ٠٠ ولن أعود الا اذا عاد هو
بى بعد أن أصبح سيدة ٠٠

قل لعمى انى لم أكن أحبه كثيرا ٠٠ ومع ذلك
أرجوك أن تعمل على راحته ٠٠ وجرب حفظك فى الحب
مرة أخرى مع فتاة طيبة تكون صديقة معك ٠٠

بارك الله فيكم جميعا ٠٠ وانى أصلى من أجلكم
راكعة على ركبتى ٠٠ واذا لم يعد بى بعد أن أصبح
سيدة ، فلن أصلى من أجل نفسى ٠٠ وانما سوف
أصلى للجميع » ٠٠

وأبعد مستر بيجوتى عينيه عن وجهى كما لو كان
قد أفاق من حلم رهيب . ثم قال بصوت منخفض يبدو
كالهمس :

- من هو الرجل ؟ ٠٠ أريد أن أعرف اسمه ٠٠
فقال بصوت منكسر :

- انى لا الومك يامستر دافيد ٠٠ لأن الرجل اسمه
ستيرفورت .

وعلى الفور ارتدى مستر بيجوتى معطفه ، وقال
لهام :

- اعطنى القبعة !

فساله هام عما ينتوى ٠٠ والى أين سيذهب ، فقال
باصرار :

- سأذهب للبحث عن اميلى ٠٠ ولكنى سأذهب
أولا لأحطم ذلك القارب اللعين ٠٠ وبعد ذلك سأذهب
للبحث عنها ٠٠

فساله هام :

- أين ٠٠ ؟

فاجاب بمزيد من الاصرار :

- فى اى مكان ٠٠ وفى كل مكان فى هذا
العالم ٠٠ سوف أجدها ٠٠ سوف أعيدها الى هنا ٠٠ !

٢٩ - مستر بيجوتى ومسز ستيرفورث

فى صباح اليوم التالى عدت الى لندن . . وصحبني
مستر بيجوتى بعد أن طلب مني أن أتوسط له لمقابلة مسز
ستيرفورث « والدة ستيرفورث » . فتوجهت اليها طالبا
السماح برؤية مستر بيجوتى ووصفته بأنه رجل طيب
ولطيف ولديه مشكلة يريد أن يعرضها عليها . فسمعت
له بالدخول . .

كانت مسز ستيرفورث جالسة على مقعد وثير . .
وكانت روزا دارتل واقفة خلفها . . ونظرت الى مستر

بيجوتى ونظر مستر بيجوتى اليها ٠٠ ثم اشارت اليه
بالجلوس فقال معتبرا :

- لا ٠٠ ساظل واقفا !

ثم اخرج من جيبه الرسالة التى تركتها اميلى
وقدمها الى مسز ستيرفورت وقال لها :

- ارجوك ان تقرئى هذه الرسالة ياسيدتى !

وبعد ان قرأتها سالها مستر بيجوتى وهو يشير
الى جملة « بعد ان اصبحت سيدة » :

- هل سيحفظ وعده ويتزوجها ٠٠ ؟ !

فاجابت مسز ستيرفورت بحزم :

- لا ٠٠ طبعا !

فسالها مستر بيجوتى :

- لماذا ٠٠ ؟

- لماذا ؟ ٠٠ لانها اقل منه مقاما ٠٠

- ولماذا لاترفعونها الى مقامكم ؟
- انها غير متعلمة .. ولم تذهب الى مدرسة ..
- علموها !
- انها من عائلة متواضعة وفقيرة جدا ..
- اسمعى ياسيدتى .. انت تعرفين بلا شك مدى حبك لولدك .. ونحن ايضا نعرف مدى حبنا لأولادنا .. ولكنك لاتعرفين كيف يكون حالك عندما تفقدين ولدك .. وأنا اعاهدك بأن نقطع صلتنا بها تماما ولن نراها ابدا بعد ان يتم الزواج ..
- هذا مستحيل .. ان مثل هذا الزواج سيدمر مستقبل ابنى .. وسيعرضه للافلاس والخراب .. ومع ذلك فيمكننى ان اعطيكم بعض
- تعطينا بعض النقود ؟ .. ان هذا سيكون اسوأ مما فعله ابنك !
- وهنا تغيرت ملامح مسز ستيرفورت وظهرت على وجهها معالم الغضب .. وفى الحال انحنت روزا دارتل

التي كانت تقف خلفها وهمست في أذنها ببعض الكلمات
ولكن يبدو انها لم تقبل ما همست به روزا في أذنها .
وقالت :

– لا ياروزا .. لا !

وعندئذ قال مستر بيجوتي :

– لا ياسيديتي .. ليس هناك داع لأن تقلقي نفسك
الى هذا الحد .. لقد جئت الى هنا بدون أمل ..
وسأخرج من هنا بدون أمل مثلما جئت .. !

وخرج مستر بيجوتي وخرجت معه .. وتتبعنا
روزا دارتل ، وسحبتنى من ذراعى جانبا . وقالت
ووجهها يحمل كل مظاهر الغضب :

– لماذا أحضرت هذا الرجل الى هنا ؟ .. الا تعرف
أن كلا من مسز ستيرفورث وابنها مجنونون بالفخر- بنفسه
وبعائلته ؟ .. لماذا أحضرته الى هنا إذن ؟ .. لا هو
ولا تلك الفتاة يساوى شيئا .. بودى لو اكوى وجهه

تلك الفتاة بالنار ٠٠ ثم ألقها في الشارع ٠٠
لو أقتلها ٠٠ !!

لقد رأيت أنواعا وأشكالا من الغضب تتبدى في
وجوه الناس ٠٠ ولكني لم أر في حياتي غضبا عنيفا مثل
غضبها ٠٠ !

وعند لحقت بمستر بيجوتي ، كان يسير آنئذ ببطء
هابطاً من التل ٠ فسألته :

— والآن ٠٠ الى أين انت ذاهب ٠٠ ؟

فاجاب بصوت منخفض ولكن فيه الكثير من
الاصرار :

— سأذهب للبحث عنها ، مهما بعد بها المكان ٠٠
واذا لحق بها أو بي أي سوء ٠٠ فاني أشهدك على
أن تذكر أن آخر كلماتي عنها : ان حبي لها لم يتغير ٠٠
واني سامحتها ٠٠ !

الجزء الخامس

الزواج

٣٠ - الخطبة

اخبرنى مستر سبنلو ان عيد ميلاد ابنته دورا
سيكون الاسبوع القادم ٠٠ وانه سيكون مسرورا لو
قبلت دعوته لحضور حفل عيد ميلادها فى بيتهم الريفى .

وفى اليوم المحدد غادرت لندن فى الصباح الباكر
حتى أصل فى وقت مناسب . وعندما وصلت الى
البيت ، رايت دورا واقفة فى الحديقة ، ومعها صديقة
شابة اسمها مس جوليا ميلز ٠٠ وكان كلبها الصغير
جيب واقفا قرب قدميها .

وطوال اليوم ، كان ذهنى مشغولا بشيء

واحد هو : دورا .. أرى صورتها فى أشعة الشمس
المنسرفة .. واسمع صـوتها فى تغريد الطيور
الجميلة .. !

جلسنا تحت الاشجار وتناولنا طعامنا .. ثم غنت
دورا وشدت بصوتها المذب الرائع .. وتناولنا
الشاي .. وقبل المغرب عدت الى البيت راكبا عربة ..
وكانت دورا بجوارى .. !

وقبل أن أغادر البيت عائدا الى لندن ، افتحت بى
مس جوليا ميلز جانبيا وقالت لى :

... مستر كوبرفيلد .. أريد أن أحدثك فى شيء ..
أن دورا ستقيم عندها بعض الوقت ضيفة علينا .. واتمنى
أن تحضر لزيارتنا !

وبعد أيام قليلة عازمت على زيارة مس جوليا ميلز
فى بيتها حيث تقيم دورا .. وعازمت فى الوقت نفسه
على عرض الزواج على دورا ..

وعندما وصلت كانت الاثنان جالسين في حجرة
الاستقبال ٠٠ وبعد فترة استأذنت من جوليا ميلز في
الخروج من الحجرة وتركنا وحدنا ٠٠

ولا ادرى حتى الآن كيف أخبرت دورا بحبي لها ٠٠
لقد فعلت ذلك في لحظة خاطفة ٠٠ قلت لها اني سأمت
بدونها ٠٠

٣ - الافلاس

عدت من زيارة صديقى القديم ترادلز ٠٠ وتوجهت
الى الحجرة التى كنت اقيم فيها أنا وبيجوتى ٠٠
وأصابتنى دهشة شديدة حينما رأيت الباب مفتوحا
وسمعت اصواتا كثيرة بالداخل ٠٠

وفوجئت بوجود عمى ومعهما مستر ديك ٠٠ وكانت
عمى جالسة على بعض الصناديق ٠٠ أما مستر ديك
فقد كان ممسكا بطيارة ورقية كبيرة ٠٠

صحت مرحبا :

- أهلا بعمى العزيزة ٠٠ هذا سرور لم اكن

اتوقعه ٠٠ هل تذكرين يا عمتي هذه السيدة ٠٠ انها
بيجوتى ٠٠

فقلت عمتي لبيجوتى :

- مرحبا بك ٠٠ كيف حالك ؟

ثم التفتت الى قائلة :

- ليس من اللائق أن تدعوها باسمها القديم ٠٠
لقد تزوجت واصبح لها الآن اسم اخر ٠٠ هو اسم
زوجها ٠٠ (١)

والتفتت عمتي الى بيجوتى وسألها :

- ما اسمك الآن ٠٠ ؟

فقلت بيجوتى :

- باركيس .

(١) من المألوف في إنجلترا أن تترك الزوجة اسم عائلتها
وتسمى باسم زوجها واسم عائلته .

وعندئذ قالت عمى :

- هذا افضل .. كيف حالك يا باركيس .. ؟!

وتناولنا الشاي .. ومن وقت لآخر كنت لاحظ أن
عمى تنظر الى بطريقة غريبة .. وتعجبت من ذلك ..
فانا لم أخبرها بعد بأى شئ عن دورا .. فهل كان هذا
هو السبب .. ؟ !

وأخيرا قالت عمى :

- تروت .. عليك أن تتمالك نفسك وتمسك
أعصابك وتسمعنى جيدا .

فقلت بلا تردد :

- حاضر يا عمى ..

- هل فكرت وسالت نفسك لماذا انا جالسة هكذا
على هذه الصناديق .. ؟!

- لا يا عمى .. ولا أعرف لماذا ..

. فقالت ببساطة وبوضوح :

- لأن هذه الصناديق ملى كل ما املك .. لقد
افلست تماما يا عزيزى !

لو اننى سمعت خبرا عن غرق البيت وغرق جميع
من فيه .. لما اندهشت بمثل هذه الدهشة !

وواصلت عمى حديثها :

- ديك يعرف ذلك ايضا .. لقد افلست ..
وأصبح كل ما املكه فى هذا العالم موجودا فى هذه
الغرفة .. باركيس .. هل يمكنك اعداد سرير لينام
ديك .. أى شىء يكفى لهذا الغرض ..

ووضعت عمى ذراعها حول عنقى وقالت انها
لا تأسف لشيء الا بالنسبة لى وحدى .. ثم اخفت
مشاعرها وقالت مشجعة :

- يجب ان نتحمل المصاعب ببسالة .. يجب الا
ندع المصاعب تخيفنا او تقلقنا .. لابد ان نشق حياتنا
مهما اكتنفتها من متاعب وصعاب .. ياتروت !

٣٢ - لقاء مع آجنس

كان أول شيء صممت أن أفعله فى صباح اليوم
التالى ، هو إعفاء نفسى من العمل من مكتب « سبىلو
وجوركينز » وأن استعيد منهما المبلغ الذى دفعته عملى
مقابل تدريبى . وجلست فى أحد أركان المكتب فى انتظار
وصول مستر سبىلو ، وأفكر فى الوقت نفسه فى دورا .
وعندما وصل مستر سبىلو ورأى ، حيايى قائلا :

- كيف حالك يا كوبر فيلد . انه صباح جميل .
أليس كذلك ؟ !

فقلت :

– نعم ٠٠ هو صباح جميل بالفعل ٠٠ هل يمكننى
أن أتحدث معك قليلا قبل ذهابك الى المحكمة ٠٠ ؟

– طبعاً ٠٠ لماذا ؟ ٠٠ تعال الى مكتبى ٠٠

وتبعته الى حجرة مكتبه ، وقلت له :

– انى أسف لما سوف أقول ٠٠ لقد وصلتني أخبار
سيئة عن عمى ٠٠ لقد أفلست وفقدت جميع أموالها ٠٠
ولذلك فأنا مضطر للانقطاع عن عملى بالمكتب ، وأرغب
فى استرداد ما دفعته عمى من نفود مقابل تدريبي ٠

فقال مستر سبيلو أسفا :

– انى أسف لذلك ٠٠ ولكن ذلك غير ممكن ٠٠
فلو كنت وحدى لكان من الممكن أن أرتب ذلك ٠٠ ولكن
هناك شريكى فى المكتب مستر جوركينز ٠

– اذن ٠٠ هل تعتقد أنى لو حدثت مستر جوركينز
فى الأمر ٠٠ سيكون من الممكن تسوية هذا الموضوع ؟

- لا .. لا اعتقد ان مستر جوركينز سيوافق على
شيء كهذا ..

ومع ذلك ، صعدت الى مكتب مستر جوركينز في
الطابق العلوي . وشرحت له موضوعي وطلبي ..
وفوجئت بقوله :

- اعتقد انك تحدثت في هذا الموضوع مع مستر
سبنلو .. ؟

- نعم تحدثت معه .. وقال انه من الممكن ان
يوافق على هذا الطلب لولا ان

- اذا كان مستر سبنلو لم يوافق فانا ايضا لا
استطيع ان اوافق ..

- ولكنه قال

- اني آسف .. مادام لم يوافق فانا لا اوافق
ولم اكتشف حتى الآن من ذا الذي لم يوافق
هل هو مستر سبنلو .. او مستر جوركينز ؟ !

وبينما كنت أسير حائرا فى الشارع ، سمعت وقع
عجلات عربة صغيرة قادمة من خلفى . وعندما اقتربت
منى العربة ، رأيت وجهها جميلا . . . رأيت أجنس
بنفسها . . . فصحت مهللا :

- أجنس . . . عزيزتى أجنس . . . ياله من سرور
أن أراك هكذا فجأة . . . الى أين تذهبين ؟ !

فقلت وهى تنزل من العربة تسير بجائى :

- انى ذاهبة لزيارة عمته . . . انى لست وحدى

هنا . . . معى أبى ويورياه هيب .

- يورياه هيب ؟ . . . عليه اللعنة . . . هل أصبح
شريكا لوالدك فى مكتبه . . . ؟

- نعم . . . أن له تأثيرا بالغا على أبى . . . لقد
حدث تغيير فى بيتنا أود أن أخبرك به . . . أن يورياه
وامه يعيشان معنا الآن فى البيت . . . وأسوأ ما فى هذا
الامر . . . انى أصبحت لا أستطيع أن انفرد بالجلوس مع

أبى وحدنا كما اعتدنا ٠٠ فيورياد هيب أصبح يفصل
بيننا ٠٠

كانت عمتى جالسة وحدها عندما وصلنا ٠٠ وحكت
لها عمتى قصة مالحق بها من خسائر وكيف خسرت
كل أموالها ٠٠ ثم قالت فى النهاية :

— لا أدري ماذا يجب أن نفعل الآن ٠٠ فالكرخ
لن يدر علينا أكثر من سبعين جنيهها كل سنة ٠٠ أما
ديك فله مائة جنيه هي كل مدخراته ٠٠ ولكنها تخصه
وحده ٠٠

فقاات أجنس :

— علمت أن الدكتور قد أغلق مدرسته ٠٠ وجاء
ليعيش هنا فى لندن ٠٠ وهو يبحث عن شخص يساعده
فى اعداد كتابه الذى يؤلفه ٠٠ واعتقد أن تروتوود
يمكنه أن يلتحق بهذا العمل ٠٠

فصحت فرحا :

— عزيزتى أجنس ٠٠ انت أفضل أصدقائى !!

وقمت على الفور بكتابة رسالة الى الدكتور
سترونج اطلب منه أن يأذن لى بمقابلته فى الساعة
العاشرة من صباح الغد .

أينما تكون أجنس . . فإنها تترك لمسائها الحلوة
على كل شيء فى المكان الذى توجد فيه . . فعندما
عدت الى البيت ، رأيت الحجرة مرتبة منظمة ، ورأيت
قفص الجليصور الجميلة الخاصة بعمتى معلقا على
النافذة ، ورأيت مقعدى موضوعا بجوار النافذة بالقرب
من مقعد عمتى . . وبينما كنت أتأمل هذه اللمسات
الرفيعة ، سمعنا طرقا على الباب . وعندهئذ قالت
أجنس :

- اعتقد ان أبى قد وصل .

قمت وفتحت الباب . . ودخل مستر ويكفيلد ومعه
يورياه هيب . وأدهشنى التغير الكبير الذى لحق بمستر
ويكفيلد . . فقد علت وجهه حمرة غير صحية ، وازداد
ارتعاش يديه . . وفجعت بمنظره هذا . . فقد تيقنت
أن الرجل أوشك أن يفقد قواه تماما ، ويعتمد كلية على

يورياه هيب ذلك المخلوق الانتهازي المتسلق ٠٠ تماما
مقلما يمهّد انسان الى قرد ليرعاه ويقولى شئونه !

وقالت عمقى :

- مستر ويكفيلد ٠٠ لقد حدثت ابنتك فيما لحقنى
من خسارة وما فقدته من اموال ٠٠ لقد طلبت منها
المشورة والنصيحة ٠٠ انى اعتقد أن ابنتك اجنس هى
افضل عضو فى الشركة .

وهنا قال يورياه هيب :

- ساكون سميدا لو أن مس اجنس ستصبح شريكة
لنا فى المكتب .

فقالت له عمقى بشيء من الغشونة :

- لقد اصبحت شريكا فى هذا المكتب ٠٠ وهذا
يكفبك ٠٠ كيف تسير معك الاحوال ؟

واجابها يورياه بأن الاحوال تسير بطريقة حسنة ٠٠
ثم قال بعد لحظة :

- اذا وجدت انا او امي او مستر ويكفيلد اية
طريقة لمساعدتك .. فان ذلك سيكون من دواعي
سرورنا .

وقال مستر ويكفيلد بصوت منخفض :

- ان يورياه هيب نشيط في عمله .. وانا اوافق
على مايقول .

وقال يورياه هيب :

- اني سعيد بهذه الثقة !

وهنا قالت اجنس لابيهما :

- ما رأيك يا ابني ان تخرج في نزهة معي انا
وتروتوود ؟ .. !

فقال يورياه هيب :

- لدى بعض الأعمال .. ولذلك فسوف اترك
مستر ويكفيلد معكم .
وخرج ..

وهكذا أتيت لنا أن نعاود احساسنا بالسعادة
وأن نتحدث بحرية عن ذكريات أيامنا السعيدة في
كانتربرى ٠٠ وعاد مستر ويكفيلد الى حالته الطبيعية
السابقة ٠٠

وبعد أن تناولنا الطعام معا ، جلست أجنس بجوار
أبيها ، وصبت له كأسا من النبيذ ٠ وعندما حل الظلام
رقد نائما في هدوء ٠٠ فتسللت أجنس من جانبه واتجهت
نحو النافذة ٠٠ وعندئذ رأيت الدموع تملأ عينيها ٠

لن أنسى أبدا تلك الصديقة العزيزة ٠٠ لقد ملأت
قلبي بحب الخير ٠٠ ومسلات عقلى بالانكار
الطيبة ٠٠ لقد شجعتنى لكى أقوى على ضعفى وانتصر
على الصعاب ٠٠ !

حتى عندما حدثتها عن دورا ٠٠ كانت تنصت الى
وأنا أثنى على دورا وأعدده محاسنها ٠٠ آه يا أجنس ٠
ياشقيقة الروح منذ أيام الصبا ٠٠ ليتنى عرفت الآن
كل ماعرفته فيما بعد ٠٠ ليتنى عرفت ولو لمحة واحدة
من ملامح المستقبل !

توجهت في طريقى الى هاى جيت ٠٠ وأنا أفكر
في حياتى الجديدة التى أتوقعها فى الفترة القادمة ٠٠
وصممت على أن أعرض على الدكتور سترونج رغبتى
فى القيام بعملى فترتين كل يوم مقابل أجر مضاعف
حتى أتمكن من مواجهة تكاليف ونفقات حياتى
الزوجية ٠

وبينما كنت فى طريقى الى بيت الدكتور ٠٠ شاهدت
بيتا صغيرا يشبه الكوخ معروضا للبيع ٠ فتوجهت
اليه وتفرجت عليه من الداخل والخارج ٠ كانت هناك
حديقة صغيرة ملحقة به وتصلح فى نظرى للكلب
جيب ٠٠ واقتنعت أيضا بأن البيت مناسب تماما لحياتى
الزوجية ٠٠ مع دورا ٠٠

وصلت أخيرا الى بيت الدكتور سترونج ٠٠ ورأيت
واقفا فى الحديقة ٠ وتهلل وجهه بالبشر حين رانى ٠
وصاح :

— عزيزى كوبرفيلد ٠٠ انى مسرور لرؤيتك ٠٠
ومسرور أكثر لرغبتك فى العمل معى ٠٠ ولكن اليس

من الأفضل أن تفكر في عمل أحسن من هذا ٠٠ اعتقد
أن مبلغ السبعين جنيهًا سنويًا مبلغ ضئيل ولا يكفيك ٠٠

فقلت له عارضًا فكرتي :

- اعتقد أنك ستعطيني المبلغ مضاعفًا إذا اشتغلت
فترتين يوميًا ٠٠ فترة في الصباح وثانية في المساء .

وبدا واضحًا أن الدكتور سترونج كان سعيدًا بأن
أساعده في عمل القاموس الكبير الذي يقوم بتأليفه منذ
سنوات طويلة ٠٠ وكانت جيوبه كلها مملوءة بقطع
صغيرة من الأوراق عليها كتابات تخص العمل في هذا
القاموس . واتفقنا على أن نبدأ العمل معًا في الساعة
السابعة من صباح اليوم التالي .

وبعد عدة أيام ٠٠ تلقيت رسالة من مستر ميكاوير ،
يدعوني فيها لزيارته في حجرته التي استأجرها في
لندن ٠٠ وكتب في تلك الرسالة : « ستدهش عندما
نرى وتسمع أن الأحوال قد تحسنت على نحو أفضل » ؛
وعندما لبيت هذه الدعوة ، ووصلت إلى حيث يعيش

مستر ميكاور ٠٠ لاحظت ان ولديه كانا راقدين على
سرير باحد اركان الغرفة ٠ كما لاحظت ايضا انه قد
تناول قبل وصولي مشروباً قوياً ٠٠ وقال بعد فترة :

— ساذهب الى كانتربرى ٠٠ لقد سألنى صديقى
يورياه هيب ان اعونه فى عمله ٠٠ ان صديقى هيب
رجل راجح العقل واسع الأفق ٠٠ انه لن يعطينى
أجراً كبيراً ٠٠ بل سيقوم بسداد كل ديونى !

اندهشت كثيراً لدى سماع هذه الأخبار واخذت
أفكر فى معناها وفيما ورائها ٠٠ وقالت مسز ميكاور :

— انى على يقين من أن ميكاور لو شغل عقله
فى الأعمال القانونية فسينجح ويتبوأ مكانة عالية ٠٠
وربما يصبح قاضياً ٠٠ هل تعتقد أن مستر ميكاور
يستطيع أن يصبح قاضياً ؟ ٠٠

فاجبتها :

— ولم لا ؟ ٠٠ !

٣٣ - وأخبرت دورا . .

وبعد مضى مايزيد عن اسبوع من حياتى الجديدة .
كنت اعمل مجدداً فى فترتى الصباح والمساء . . رتبت
امرى لزيارة دورا ، التى لم تكن تعلم شيئاً حتى الآن
عن خسارة عمى وفقدانها . . ولا عن عملى
الجديد الذى أقوم به مع الدكتور سترونج .

جاءت دورا الى حجرة الاستقبال . وكلبها جيب
يجرى ويقفز بجانبها . وسألها :

- هل تعتقدين ان بإمكانك ان تكونى على علاقة
حب مع شحاذ . . ؟!

– ولماذا تسأل مثل هذا السؤال الغبى ٠٠ ؟!

– دورا ٠٠ لقد أصبحت شحاذا ٠٠ لقد أفلسنت !

– اذا واصلت الحديث هكذا فسوف أطلب من
جيب أن يعضك !

ولكن لأن منظرى كان جادا ، فقد تنبهت دورا ٠٠
ووضعت يدها على كتفى ، وبدأت فى البكاء ٠٠ وعندئذ
ركعت على ركبتى وطلبت منها أن تشفق بى ولا تحطم
قلبى ٠٠ وقلت لها مستفسرا عن مصير حبيبى :

– هل مازلت تحبيننى يادورا ٠٠ ؟ !

فقالته بسرعة :

– نعم ٠٠ نعم ٠٠ ولكن أرجوك لا ترهبنى بمثل
هذه الأخبار عن فقرك وعن عمك الشاق !

وسألتها :

– هل فى استطاعتى ان أقول شيئا ٠٠ ؟!

فاجأبت فوراً :-

.. لا أرجوك .. لا تقل شيئاً عن

.. اذن .. مادمتم تقبلين الزواج برجل فقير
مثلى ، فسوف يكون من الأفضل ان تنظري الى الحياة
بجدية .. وان تتعلمي شيئاً يمكنك من فحص دفاقر
حسابات والدك .. ان ذلك سيفيدك مستقبلاً .. !

فشرعت فى البكاء مرة أخرى .. ثم استدعت
صديقتها جوليا ميلز ..

وعندما حضرت صديقتها طلبت منها ان تعاون دوراً
فى قراءة وفهم أى كتاب فى طهى الطعام أو أى دفتر
للحسابات ..

ورعدتنى صديقتها بأنها ستحاول ذلك .. ولكنها
لم تفعل كثيراً لتحقيق هذا الطلب ..

٣٤ - مستر سبنلو يعرف العلاقة

و ذات يوم بينما كنت متوجها الى مكتب مستر سبنلو ، وجدته جالسا يتألم من شدة الحزن ، لدرجة انه لم يرد على تحية الصباح التي القيتها اليه . . .

ونظر الى ببيرو ، وسألني أن أصعبه الى حانة مجاورة . . . وصعدنا معا الى الطابق العلوي بتلك الحانة واندخلني الى حجرة . . . ورأيت مس هارديستون جالسة وكأنها كانت تتوقع حضورنا . . .

- لو سمحت . . . أرجو أن تعرضني على مستر كوبرفيلد ما تحتفظين به في حقيبتك !

وأخرجت مس ماردستون آخر رسالة كنت قد أرسلتها الى دورا ٠٠ وقال مستر سبنلو :

- اعتقد يامستر كوبرفيلد ان هذه الرسالة مكتوبة بخطك ؟

قلت : نعم ٠٠ !

وعندما قدمت اليه مس ماردستون بعض الرسائل الأخرى قال :

- واعتقد ان هذه الرسائل الأخرى مكتوبة بخطك قلت : نعم ٠٠ !

فأشار الى مس ماردستون وقال لها :

- استمرى يامس ماردستون فى حكايتك ٠٠ فقالت :

- لقد بدأت أشك فى وجود علاقة بين مسستر كوبرفيلد ومس دورا سبنلو ٠٠ فبدأت أراقبهما فى حذر وعناية ٠٠ وبعد ان تناولنا الشاي بعد عصر يوم

أمس ، لاحظت أن الكلبُ جيب يلعب بورقة ، فأخذتها
منه وقرأتها فتبين لى أنها رسالة ٠٠ وذهبت الى مس
دورا سبنلو وطلبت منها أن تعطينى كل الرسائل
السابقة ٠٠ وهكذا حصلت على تلك الرسائل التى
أريتكما أياها !

فالتفت الى مستر سبنلو وقال :

— هل لديك شيء تقوله تفسيراً لذلك ٠٠ ؟

فاجبت :

— ليس لدى ما أقول ٠٠ سوى أن اللوم يقع على
أنا وحدى !

— سألقى بكل هذه الرسائل الى نار المدفأة ٠٠
وعليك أن تعطينى جميع الرسائل التى أرسلتها لك ابنتى
لألقيها فى النار ٠٠

ولم أوافق بالطبع . واستمر مستر سبنلو فى
غضبه :

- ربما تعرف أنني رجل غنى .. وأن ابنتى هى
القرب القربانى .. وأنا لا أريد أن اغير فى ترتيبات
شروتى .. وسأعطيك مهلة لمدة اسبوع واحدة تفكر فيه
فيما قلته لك !

وقبل أن أعود الى المكتب . فكرت فى أن اتوجه
بسرعة الى بيت دورا .. وكتبت رسالة قصيرة الى
مستر سبتلو أن يتفرق بابنته وأن يعاملها بلطف ..
وتركت الرسالة على المائدة .

وذهبت الى مس جوليا ميلز ، فوجدت أن لديها
فيضا من الكلمات المدهشة كانت تريد أن تصسبه فى
مسامعى . فتركتها وأنا أكثر تماسا مما كنت عليه من
قبل .

وحكى لعمى كل ماحدث .. ولكنها لم تعطنى
أى أمل .. فتمت على سربرى يائسا يغمزى قلبى
من شدة الحزن ..

وفى صباح يوم السبت ذهبت الى المكتب .. فرأيت

جمعا من الناس يقفون حول الباب ٠٠ وعندما دخلت
رأيت الكاتب المعجوز تيفى جالسا على مقعد غير
مقعده ، وقد امسك بقبعته فى يده ٠ وقال عندما رانى :

- حدث شيء فظيع يامستر كوبرفيلد !

- ماذا ؟ ٠٠ ماذا حدث ؟ !

- مستر سبنلو ٠

- ماله ٠٠ ؟ !

- مات ٠٠ لقد سقط من عربته

٣٥ - يورياه يقول اكثر من اللازم

ذهبت الى كانتربري لزيارة مستر ويكفيلد في مكتبه وبيته ٠٠ وفي الحجرة الصغيرة الملحقة بالمكتب والتي كان يشغلها يورياه هيب من قبل ، رأيت مستر ميكاوهر جالسا .

سالته :

- ماه ٠٠ هل احببت العمل بالقانون يا مستر ميكاوهر ؟

اجاب :

٢٥٤

- أنا رجل له قدرة كبيرة على التخيل .. وجدت
أن القانون يتطلب قدرا كبيرا من الحقائق ..
- وهل يعطيك الآن أجرا طيبا .. ؟
- لقد سدد كل ديوني .. كلها .. !
- لم أكن أتوقع أنه أصبح حرا في التصرف في
النقود الى مثل هذه الدرجة .. هل ترى مستر ويكنيلد
كثيرا .. ؟
- لا .. ليس كثيرا .. أنه رجل ذو سمعة
كبيرة .. ولكنه لم يعد ذا فائدة !
- اعتقد أن شريكه هو الذي يحاول أن يجعله بلا
فائدة .. !
- يا عزيزي كوبرفيلد .. انى هنا مجرم موظف
موثوق فيه الى حد كبير .. وهناك بعض الأمور
لا أستطيع أن أتحدث فيها بحرية ..
لقد تغير مستر ميكاويز .. أصبح هناك حاجز ..

يفصل بيني وبينه .. ولم نعد صديقين مثلما كنا فى
الماضى ..

كانت أجنس جالسة فى حجرتها . فصحت بها :

- أجنس يا عزيزتى .. انى اشعر بالاحتياج اليك
فى الفترة الأخيرة .. كنت افكر فيك لأنى فى حاجة
الى نصيحتك وتشجيعك .. عندما تكونين معى ، اشعر
بأن احوالى تتحسن الى الأفضل .. فما هو السر فى
ذلك يا أجنس .. ان ثقتى كلها فيك انت وحدك !

فقالت برقة :

- ولكن لايجب ان تضع هذه الثقة فى انا ..
يجب ان تضع ثقتك فى سورا ..

وفى المساء جلسنا لنتناول طعام العشاء .. وشرب
مستر ويكفيلد نخب عمتى .. ونخب مستر ديك . ثم
وقف يورياه وقال :

- انى اشرب نخب أجمل فتاة على ظهر الأرض !



يورساق هيپا و آچنس .

۲۵۷

۹۰ ۹۰ ۹۰ ۹۰ ۹۰

كان مستر ويكفيلد يمسك فى يده كأسا فارغه ،
ورفع عينيه الى صورة زوجته السابقة أم اجنيس ، ثم
وضع يده على رأسه ٠٠ وواصل يورياه كلامه :

— انى احقر من ان اطلب شرب نخبها ٠٠ ولكنى
معجب بها ٠٠ واحبها !

واخذ مستر ويكفيلد يعصر يديه فى بعضهما معبرا
عن شدة الألم الذى يعتريه ٠٠ وواصل يورياه كلامه :

— ان تكون ابا لاجنس يا ويكفيلد ، فان ذلك شئ
يدعو للفخر ٠٠ اما ان تكون زوجها ٠٠٠ ٠٠٠

وهنا اطلق مستر ويكفيلد صرخة ألم وتوجع لم
اسمع مثلها فى حياتى كلها ٠٠ فصاح به يورياه :

— ماذا فى الامر ٠٠ هل جننت ؟ !

ووضعت ذراعى حول مستر ويكفيلد محاولا
تهنئته ٠٠ ويبدو ان الرجل قد عانى من لحظة جنون
عابرة ٠٠ ولكنه اخذ يستعيد هدوء رويدا رويدا ٠٠ ثم
قال فجأة وهو يشير الى يورياه :

- انظر اليه ٠٠ بسبب هذا الرجل فقدت اسمي
خطوة خطوة ٠٠ وفقدت هدوئي وسلامي ٠٠ وفقدت
مكتبي وبيتي ٠٠

فصاح به يورياه :

- لا تكن غبيا هكذا يامستر ويكفيلد ٠٠ لم يحدث
شيء فيه أى ضرر ٠٠

وواصل مستر ويكفيلد كلامه :

- ظننت انى استطيع ان اثق به لأن مصلحته كانت
تقتضى منه ان يكون صادقا معى ومخلصا لى ٠٠ ولكن
انظر كيف اصبحت !

فقال يورياه مبهدا :

- كوبرفيلد ٠٠ من الأفضل ان تسكته ٠٠ وان
تمنعه من ان يقول اشياء سيندم عليها فيما بعد اشد
الندم !

فصرخ مستر ويكفيلد :

- سأقول أى شيء يعجبني .. لماذا لم يمد فى
مقدورى أن أقول ما أريد .. ١٩

ووجه يورياه حقيقته الى قائلا :

- كوبرفيلد .. انى احذرك .. اذا لم تمنعه من
الاستمرار فى الكلام قلن تكون فى مثل هذه الحالة
صديقه الذى يحرص على مصالحه .. انا وانت نعرف
ماتصرف .. اليس كذلك ؟ .. الا ترى انى مازلت
متواضعا .. واذا كنت قد قلت شيئا اكثر من اللازم ،
فانا آسف لذلك .

وقال مستر ويكفيلد فى صوت ياك :

- اوه .. تروتوود .. تروتوود .. تذكر كيف
انحدر حالى منذ ان رايتنى اول مرة فى بيتى هذا ..
لقد هدنى الضعف .. واصبحت لا أستطيع التذكر ..
وتحول حزنى الى مرض .. لقد احببت ابنتى لانى
كنت أتذكر فيها وجه أمها .. واصبحت الآن ضعيفا
حتى فى حزنى وحبى .. بل ضعيفا حتى فى طريقة

هروبي من الجوانب المظلمة في هذا الحزن وهذا
الحب .. انظر كيف تهدمت واصبحت حطاما .. !

والقى بنفسه على كرسيه وانفجر باكيا ..

كان الظلام قد انسدل حين اوقفت عربة امام
الباب وهممت بركوبها . ولكن يورياه هيب جاء مصرعا
ورقف بجانب العربة وقال بصوت منخفض يبدو مثل
صوت الضفدعة :

- كوبرفيلد .. اعتقد انه سيسرعه ان تسمع اننا
قد سوينا امورنا .. لقد ذهبت اليه في غرفته ولم تعد
بينى وبينه الان اية مشاكل .. وربما انت نفسك قد
تعرضت في مرة لما تعرضت انا له .. اعنى ان تقطف
من الشجرة تفاحة لم تنضج بعد .. ولكن الوقت سيأتى
حتما .. وانا استطيع ان انتظر .. !

٣٦ - دورا ٠٠ وكتاب الطهى

وكننت اتردد كثيرا على دورا ٠٠ ولكن كان هناك
شئ يقلقنى باستمرار ٠٠ وهو أن دورا تحب أن يعاملها
الجميع كمالوكانت لعبة جميلة ٠٠ كانت عمى مثلا تسميها
« الزهرة الصغيرة » ٠٠ وكانت عمتها مس لافينيا تدللها
اكتر وأكثر ٠٠ وصممت على مناقشة هذا الموضوع
مع دورا ٠٠ فقلت لها :

- اعتقد أن من الأفضل أن تطلبى منهم أن يغيروا
طريقة معاملتهم هذه ٠٠ لأنك تدركين يا عزيزتى انك
لست طفلة صغيرة تحتاج لكل هذا القدر من التدليل
والدلع ٠٠

فقالت :

- انظر .. ها انت ذا تريد أن تغضبني وتغضب
منى .. انهم يعاملونني بمنتهى اللطف والعطف ..
وانا سعيدة بهذه المعاملة .

قلت محاولا اقناعها :

- ولكن يمكنك أن تظلى سعيدة عندما يعاملونك
بطريقة أكثر جدية وواقعية ..

فقالت برقة شديدة :

- لا تقسو على هكذا .. يا عزيزي !

وطلبت مني أن أحضر لها كتابا يعلمها فن طهى
الطعام .. فسررت كثيرا بهذا الطلب .. واحضرت لها
الكتاب المطلوب ، وكتابا آخر لتعليم الحساب .

ولكن كتاب الطهى سبب لها صداعا .. أما كتاب
الحساب فقد جعلها تيكى .. وصممت على أن أقوم
بتعليمها بنفسى ..

قلت لها :

- والآن .. افترضى يا عزيزتى اننا قد تزوجنا ..

وانك ذهبت الى الجزار لتشتري لى قطعة من اللحم ،
فهل تعرفين كيف تشترينها ؟ ٠٠

فقالت :

- ولماذا اعرف كيف اشتريها مادام الجزار يعرف
كيف يبيعها ؟ ٠٠

- اذن ٠٠ لنفرض مثلا انى طلبت منك ان تطهى
لنا طبقا من « اليخنسى الايرلندى » (١) ٠٠ فماذا
تفعلين ؟ ٠٠

فقالت على الفور :

- انادى على الخادمة ، واطلب منها أن تعد لنا
هذا الطبق ٠٠

وهكذا لم يعد كتاب الطهى ذا نفع ٠٠ ووضعت
فى أحد الأركان الجانبية بالحجرة ، ليقف أو ليجلس
عليه كلبها المدلل ٠٠

(١) طبخة ايرلندية شهيرة وسهلة ، تتكون من بعض قطع
اللحم الصغيرة سلق ببطء مع بعض الخضراوات .

٣٧ - الزوجة الطفلة

تزوجنا ..

وعاشت معنا فى البيت خادمة تسمى مارى أن ..
وقلت لنورا ذات يوم :

- عزيزتى .. يبدو أن مارى أن ليس لديها أية
فكرة عن الوقت .. فالطعام يجب أن يقدم فى الساعة
الرابعة .. ونحن الآن فى الساعة الخامسة

فقلت ببساطة :

- ربما تكون الساعة هى المخطئة فى تحديد

الوقت ٠٠ وأنا لا أجسر على الكلام معها فى مثل ذلك ٠٠
انى أخاف منها ٠٠

فقلت بعد أن فاض بى وأنا أحاول فى نفس الوقت
أن أمسك بأعصابى :

- بالأمس اضطررت الى الخروج قبل أن يتم طهى
لعام ٠٠ وأول أمس لم يكن اللحم مطبوخا بطريقة
سليمة ٠٠ أما اليوم فليس هناك طعام على الاطلاق ٠٠
انسى لا ألومك فى ذلك ٠٠ ولكن الحيناة بمثل هذه
الطريقة غير مريحة !

فقالت بطريقة هى خليط من الغضب والدلع :

- انت ولد قاس ٠٠ هل تريد أن تقول انى زوجة
سيئة ؟ !

أما المشكلة الحقيقية الكبرى فكانت تتمثل فى
الخدمات اللاتى أصبحنا نستخدمهن فى البيت واحدة
وراء أخرى ٠٠ فبعد أن تركتنا مارى أن لاحظت أن
بعض الملاحق وبعض النقود قد اختفت ٠ ثم استخدمنا

بعدها مسز كيدجربرى التى كانت عجوزا لاتقوى على
أداء أى عمل ٠٠ ثم خادمة أخرى كانت تحطم كل
شئ ٠٠ ثم عددا من الخادومات اللاتى لايعرفن شيئا
عن واجباتهن ٠٠ وأخيرا استخدمنا فتاة شابة اخذت
قبعة دورا وارتدتها حين ذهبت لمقابلة صديقتها !

لقد أصبح الجميع يخدعوننا بسهولة ٠٠ حتى
أصحاب المتاجر أصبحوا لايعطوننا الا أسوأ بضائعهم .
فجميع مااشتريناه من أسماك كانت فاسدة ٠٠ وإذا
اشترينا لحما فانه لا يؤكل بعد طهيه ٠٠ حتى الخبز
الذى كنا نشتره اما أن يكون فاسدا أو مبلولا ٠٠ وحتى
النساء اللاتى كنا نحضرهن لغسل ملابسنا كن يبعن هذه
الملابس بعد غسلها ٠٠ وكانت الخادومات تشترين
بعض حاجياتهن ويطلبن منا أن ندفع ثمنها ٠٠
وجاء ضيف صديق ليزورنا فقدمنا اليه طعاما لا يؤكل !
وبعد انصراف الضيف ٠٠ جاءت دورا وجلست
بجانبي وقالت :

— انى أسفة ياعزيزى لما حدث ٠٠ كان من

الأفضل قبل أن أتزوج بك ، أن أعيش مع أجنس لمدة
عام كامل حتى أتعلم منها كل شيء . . . هل تحب أن
تطلق على اسم الأفضل أن تدعوني به ؟ ؟ !
مطالها :

— مامو ؟ ؟

— ادعوني ، الزوجة الطفلة ، . . فكلما نويت أن
تغضب مني . . قل في نفسك : أنها مجرد زوجة
طفلة !

٣٨ - محاولة التأثير على عقل دورا

مر الآن نحو عام ونصف عام على زواجنا • وبعد
عديد من المحاولات توقفنا تماما عن ادارة المنزل ••
لقد أصبح المنزل يدير نفسه بنفسه •• وأصبح لدينا
الآن خادم وطباخة •• ويبدو أن هذا الخادم لم يكن
لديه شيء يشغله سوى المشاجرة مع الطباخة طول
الوقت •

وسرق الخادم ساعة دورا الذهبية وباعها ••
فقبض عليه ووضع في السجن •• وأمام القاضي اعترف
بالأشياء الأخرى التي سرقها منا •• كما اعترف أيضا

بالأشياء التي سرقتها الطباخة ٠٠ وشعرت بالخجل
من نفسي بعد اكتشافى أنى سترقت من جانب هؤلاء الذين
كنت أضع لهم أجرهم كاملا ٠٠

وشجعتنى جميع هذه الحوادث على أن أفتتح دورا
فى هذا الموضوع بطريقة جادة وحازمة ٠ فقلت لها فى
أحدى الأمسيات :

- يا حبسى ٠٠ يبدو أن النقص فى قدرتنا على
إدارة المنزل لايتسبب فى إلحاق الضرر بنا وحدنا ٠٠
بل انه يلحق الضرر بالآخرين أيضا ٠٠ يبدو أننا
أصبحنا نشجع الناس على أن يصبحوا لصوصا ٠٠
لقد أصبحت أشعر بأن هؤلاء الناس يفعلون مثل هذه
الأشياء السيئة لأننا لسنا حازمين معهم بشكل
كاف ٠٠٠ ٠٠٠

فصاحت دورا قائلة :

- اوه ٠٠ اوه ٠٠ ما هذا الذى تقول ٠٠ هل رايتنى
فى مرة وأنا أسرق ساعات ذهبية ١٩٠٠ ؟

وانخرطت فى البكاء ٠ فقلت لها :

- دورا يا حبيبى ٠٠ أرجوك ان تنصتى لما أقول ٠٠
يجب علينا ان نتعلم كيفية التعامل مع هؤلاء الناس الذين
نستخدمهم ٠٠ انى أخشى ان أقول أننا نحن الذين
نمطيهم الفرصة ليفعلوا مثل هذه الاشياء السيئة ٠٠
انى قلق من أجل ذلك ٠٠

فواصلت بكاءها وهى تقول فى نفس الوقت :

- اذا كنت لا تشعر بالسعادة فلماذا تزوجتنى
اذن ٠٠ لماذا لاترسلنى لأعيش مع عمى فى بوتنى ٠٠
أو لأعيش مع صديقتى جوليا ميلز فى الهند ٠٠ ؟
وأصبح الكلام معها بلا فائدة ٠٠

ومع ذلك فلم أفقد الأمل ٠٠ وصممت على ان أقوم
بنفسى بتطويع عقل دورا ليصبح أكثر جدية ٠٠ وبدأت
هذه المحاولة على الفور ٠٠

قرأت لها بعض أعمال شيكسبير ٠٠ وقرأت لها
بعض نصوص المعرفة المفيدة ٠٠ ولكنها بدأت تخمن

فى انى انما افعل ذلك بقصد التأثير على عقلها ، فبدات
تخشى مثل هذه الموضوعات ٠٠ وازدادت كراهيتها
لشيكسبير !

وقضيت فى مثل هذه المحاولات عدة شهور ٠٠
ولكن يبدو ان تطويع عقل دورا لم يحقق اى قدر من
النجاح ٠٠ ومع ذلك فقد تخيلت انى قد حققت بعض
النجاح فى ذلك ، فاشتريت لها حلية ثمينة على شكل
حلق لاذنيها وقلت لها وانا اقدم هديتى :

- انى اخشى اننا لم نكن متجاوبين مع بعضنا
طوال الأشهر الماضية ٠٠ واخشى اننا لم نقضى سويا
اوقاتا طيبة ٠٠ والحقيقة يادورا ٠٠ انى كنت احاول
ان اكون حكيما ٠٠

فقلت :

- وكنت تحاول فى الوقت نفسه ان تجعلنى
حكيمة اليس كذلك ؟ !

فأرأى براسى ٠ وقلت ببساطة :

— لا فائدة فى ذلك ٠٠ وعليك ان تطلق على الاسم
الذى احبه : الزوجة الطفلة !

وهكذا اصبحت على يقين من اننا غير متوائمين
عقلا او اهدافا ٠٠ وبدلا من محاولتى فى ان اجعل
دورا تناسبنى ٠٠ بدأت محاولتى فى ان اجعل نفسى
مناسبا لدورا ٠٠ ولهذا فقد بدأت اشعر ببعض
السعادة .

وما ان انقضى العام الثانى على زواجنا ، بدأت
الاحظ ان دورا اصبحت معتلة من الناحية الصحية ٠٠
وكننت امل فى ان نرزق بطفل ربما سيجعلها تنظر الى
الحياة نظرة اكثر جدية .

ولكن هذا الأمل لم يتحقق وازدادت صحتها
سوءا ٠٠ وكننت قد اعتدت فى الايام الاخيرة ان احمل
دورا على ذراعى وانزل بها الى الطابق السفلى كل
صباح ٠٠ ثم احملها مرة اخرى واصعد بها الى الطابق
العلوى كل مساء ٠٠ ولاحظت انها كانت تزداد خفة
فى الوزن يوما بعد يوم .

وكانت عملى تقول لها كل ليلة :

- تصبحى على خير .. ايتها الزهرة الصغيرة !
ولكن مرض الزهرة الصغيرة أخذ يشتد اسبوعا
وراء اسبوع .. حتى كلبها جيب أصبح يبدو مثل كلب
عجوز محطم ..

رقدت دورا على السرير .. جميلة كما كانت تبدو
دائما .. وعلت وجهها ابتسامة رائعة طيبة .. ولم
تصدر منها أية شكوى .. ولم تطلب منا أى طلب ..
وقالت لنا انها مرتاحة لأننا كنا جميعا طيبين معها ..
جلست بجوار سريرها فى الضوء الخافت ..
وكان وجه زوجتى الطفلة متجهسا نحوى .. وكانت
أصابعها ترقد ساكنة فى يدى .. وماتت !!

الجزء السادس

التسوية ..

٣٩ - مستر ميكاوبر يعترف

استلمت رسالة غريبة من مستر ميكاوبر يقول فيها :

« انتهى سلامي .. وتحطمت قدرتي على المتعة
والسرور .. وذبلت الزمرة ! »

قرأت الرسالة عدة مرات محاولا فهمها . ولكنني
لم أفهم منها شيئا . برغم يقيني أنها أكثر أهمية من
جميع الرسائل التي أرسلها لي مستر ميكاوبر من
قبل .

وبعد عدة دقائق استلمت رسالة اخرى من مسز
ميكاوبر تقول فيها :

« لم يعد مستر ميكاوبر كما كان من قبل ٠٠ انه
يقول انه قد باع نفسه للشيطان ٠٠ ويقول انه يريد
الانفصال عنى ٠٠ اعتقد ان هناك سسرا وراء هذا
السلوك الغريب ٠٠ أرجو ان تلقاه وتتحدث معه ! » .

وعلى الفور أرسلت رسالة الى مسز ميكاوبر
لأطمئنها ، كما رتبنا موعدا للقاء مستر ميكاوبر فى
بيت عمى ٠٠

وعندما وصل لاحظت انه فى حالة معنوية سيئة .
فقلت له مواسيا :

- أرجو ألا تكون قد بدأت تكره الأعمال القانونية .
- فلم يجب بشيء وظل صامتا . فسأله :
- كيف حال صديقنا يورياه هيب ٠٠ ؟

فأجاب :

- ان كنت نسأل عنه باعتباره صديقا لك فاننا أسف



هل أحببت الأعمال القانونية يا مستر ميكاويز ؟ ٢٧٩

لذلك ٠٠ اما اذا كنت تسال عنه باعتباره صديقى فهذا
شيء مضحك ٠٠ انى لا اريد ان اتحدث عن هذا الرجل ٠
ان موتى وحده هو الخلاص من كل شيء ا

فقلت عمتى :

- ارجو ان تكون زوجتك وابناؤك فى حالة طيبة ٠٠
- انهم جميعا بخير ياسميتى ! ٠٠ ولكنى انا
وحدى - لست بخير ٠٠ وأشعر باليأس ٠٠

فقلت اطمنئه وأخذه على الاناقسة بما صدره :

- تكلم يا مستر ميكابر ٠٠ انك الآن مع اصدقاء
صديقين ٠٠ ماذا فى الأمر ٠٠ ؟

وانفجر مستر ميكابر فى الكلام :

- ماذا فى الأمر ؟ ٠٠ ان الشيطان هو الأمر ٠٠
ان الاعمال السيئة الدنيئة هى الامر ٠٠ ان السرقة
والغش والخديعة هى الأمر ٠٠ ان السبب المباشر فى
كل هذه الاشياء المنحطة هو يورياه هيب ٠٠ الآن قد

انتهى الصراع من أجل الحياة... ولن أعيش مثل هذه
الحياة مرة أخرى أريد أن أستعيد حياتي الطيبة مع
زوجتي ومع أسرتي... وقد آليت على نفسي أن أحطم
هذا المخلوق المدعو هيب إلى قطع صغيرة... سأدمره
تدميرا... وموعدا في مثل هذا الوقت من الأسبوع
القادم في الفندق الصغير بكانتربري... أخير الجميع
بذلك... سنلتقي هناك كلنا... سأنصرف الآن... وإلى
اللقاء... !!

وخرج من البيت وهو يجرى... أنى لم أر في
حياتي اضطرابا مثل الاضطراب الذى كان يعانيه هذا
الرجل عندما كان يلقي على مسامعنا هذا الكلام
الغريب...

وبعد دقائق قليلة وصلتني منه رسالة يبدو أنه
كتبها في الحانة المجاورة... يقول فيها :

• متبدي •

انى اعتذر عما بدر منى من اضطراب شديد...

ولعللى اكون قد اوضحت تماما ان موعدنا فى الاسبوع
القادم فى « حانة السفينة » فى كانتربرى ٠٠
ويلكنز ميكاوبر ، ٠

انقضى اسبوع وحل موعد اللقاء ٠٠ فذهبت انا
وعمتى ومستردىك الى « حانة السفينة » فى
كانتربرى ٠٠ واستلمنا رسالة كانت فى انتظارنا يقول
فيها مستر ميكاوبر :

« انتظرونى فى الساعة التاسعة والنصف من
صباح الغد فى مكتب « ويكفيلد وهيب » ٠٠

ونذهبنا الى المكتب فى الموعد المحدد ٠٠ ووجدنا
مستر ميكاوبر جالسا على مكتبه ويكتب ٠٠ او ربما
يتظاهر بأنه يكتب شيئا ٠٠ فقلت له :

— كيف حالك يامستر ميكاوبر ٠٠ ؟

فقال بصوت حزين :

— مستر كوبرفيلد ٠٠ ان مستر ويكفيلد يرقـد

مريضا على السرير ٠٠ ولكن مس آجنس ويكفيلد
مسرورة لرؤية اصدقائها القدامى ٠٠

وفتح بابا يؤدي الى غرفة الاستقبال . وقال بطريقة
جادة :

– مس تروتوود ٠٠ مستر دافيد كوبرفيلد ٠٠
مستر ديك ٠٠

ولاحظت على الفور أن زيارتنا المفاجئة هذه قد
أدهشت يورياه هيب كثيرا ٠٠ ولكنه سرعان ما استعاد
قدرته على التظاهر بالتواضع كالمعتاد ٠٠ وقال بطريقة
المعروفة :

– هذا سرور لم أكن اتوقعه اطلاقا ٠٠ لقد تغيرت
الأحوال في هذا المكتب يامس تروتوود منذ زيارتك
السابقة ٠٠ حين كنت مجرد كاتب متواضع ٠٠

وجاءت آجنس ٠٠ وكانت تبدو قلقة ومتعبة ٠٠
وظل يورياه هيب يتابعها بعينيه وهي ترحب بنا ٠٠ ثم
نظر الى مستر ميكاوير وقال له :

.. لماذا تنتظر هنا .. هيا اخرج الى مكتبك ..
الا تسمعنى .. قلت لك اخرج من هنا ..

فقال مستر ميكاوير :

.. حاضر !

ولكنه لم يتحرك من مكانه .. فقال يورياه بعده :
.. قلت لك اخرج .. ماذا تريد هنا ؟

فقال مستر ميكاوير بكل ثبات :

.. اريد ان اخبرهم بأنه اذا كان هناك وغد واحد
فى هذا العالم .. فان اسم هذا الوغد هو يورياه
هيب !!

وغاص يورياه فى مقعده كما لو كان قد تلقى ضربة
قوية على رأسه .. وشعب لون وجهه .. ولكنه تماسك
وقال :

.. هى مؤامرة اذن ياكوبرفيلد .. لقد رتبت امر
هذا اللقاء بعد ان البت على موظف صغير عندى ..

ولكننى احذرك ياكوبرفيلد ٠٠ ان هذا اللقاء سيكون
بلا طائل ٠٠ انذا نفهم بعضنا جيدا ٠٠ ونكره بعضنا
تماما ٠٠ والآن ٠٠ انصرف ياميكابور ٠٠ وسنتحدث
فى ذلك فيما بعد ٠٠ !

وفى هذه اللحظة وصل صديقى ترادلز وكان
يصطحب معه مسز هيب . فسأله يورياه :
- من أنت ؟

فاجاب ترادلز :

- انا صديق لستر ويكفيلد ٠٠ وعندى السلطة
لكى اتحدث باسمه !

وهنا تدخلت مسز هيب قائلة :
- يورياه !

فاجاب يورياه نداء امه بصوت يخلو من الالاب :
- امسكتى !

وفى الحال وقف مستر ميكابور ، وامسك فى يده
ورقة كبيرة الحجم ، وبدا يقرأ ما فيها :

« جميع أعمال مكتب (ويكفيلد وهيب) يقوم بها هيب ٠٠ وهيب هذا مجرد لص ٠٠٠ »

اندفع يورياه هيب نحوه مسرعا ، وحاول ان يخطف منه الورقة التي كان يقرأها ٠٠ ولكن مستر ميكاوهر ضربه على يده ٠٠ فسقطت يده الى جانبه كما لو كانت مكسورة ٠٠ وصاح به هيب :

— فليأخذك الشيطان !

فرد عليه مستر ميكاوهر قائلا :

— اذا اقتربت منى مرة اخرى فسوف أكسر عنقك !

وعاود مستر ميكاوهر القراءة :

« كان يدفع لى اجرا ثابتا عبارة عن اثنين وعشرين شلنا كل اسبوع ٠٠ اما بقية الأجر فكان يحدده حسب ما اقوم به من عمل ٠٠ او بمعنى آخر حسب ما اقوم به من أعمال سيئة خاطئة كان يحتاجها ويأمرنى بأدائها لخدمة أغراضه فى الغش والخداع ٠٠ وكان يقرضنى النقود حتى أصبحت واقعا تماما تحت سيطرته ٠ وقد

وجدت أن جميع الخدمات التي يطلبها هيب منى هـى
الاستمرار فى خداع مستر ويكفيلد بكل طريقة . .

وتوقف مستر ميكاوربر عن القراءة لحظة قصيرة
ليرى أثر ما قاله على السامعين . . ثم استمر بعد ذلك
فى القراءة :

. . . كان يفش مستر ويكفيلد بكل الطرق الممكنة
فى نفس الوقت الذى كان يدعى فيه أن مستر ويكفيلد
هو صاحب الفضل الأول عليه ويتظاهر بأنه أعز صديق
له . . وأخيرا تغير قلبى واستيقظ ضميرى لأجل خاطر
مس ويكفيلد . . وبدأت أراقب مايفعله هيب بطريقة
سرية . . وعرفت أن هيب كان يحصل على توقيع مستر
ويكفيلد على بعض اوراق والمستندات المهمة ، مدعيا
أنها اوراق عديمة الأهمية . . بل لقد جعل مستر ويكفيلد
يسحب مبلغ ألف ومائتى جنيه من حسابات بعض
العملاء المودعة عنده بعد ان ادعى أنها مصاريف
انفقت فى بعض الأغراض . . وجعل الأمر يبدو كما
لو كان مستر ويكفيلد قد سحب هذا المبلغ لنفسه . .

وبهذه الطريقة الشيطانية سيطر تماما على مستر
ويكفيلد وجعله طيعا يقبل كل شيء يراه ٠٠٠ ، ٠

وهب يورياه هيب موجهها حديثه الى :

— انك لن تستطيع اثبات ذلك ياكوبرفيلد !

واستمر مستر ميكاوير فى القراءة :

« ٠٠٠ كنت اعيش فى نفس المسكن الذى كان يعيش
فيه هيب وتركه ٠٠ وهناك عثرت على بقايا دفتر صغير
كان قد احرقه ولكن بقيت منه بعض اجزاء لم تحصل
اليها النار ٠٠ ، ٠

وهنا صاحبت مسن هيب مولولة :

— يورياه ٠٠ يورياه ٠٠ كن متواضعا ٠٠ وحاول
أن تصل الى تسوية هذا الأمر معهم !

فصاح بها يورياه :

— امى ٠٠ هل يمكنك أن تلزمى الصمت ؟ !

واستمر مستر ميكاوير فى القراءة :

« ٠٠٠ وعرفت أيضا أن هيب كان فى احيان كثيرة يقوم بتزوير وتغيير بعض البيانات المدونة فى دفاتر الحسابات ٠٠ وعرفت كذلك انه جعل مستر ويكفيلد يوقع على مستند يثبت زورا انه اقترض مبلغا كبيرا من هيب ، فى حين أن مستر ويكفيلد لم يحصل على أى قرض منه ٠٠ هذا بالاضافة بأن لدى ورقة تثبت محاولات هيب فى تقليد وتزوير التوقيع الخاص بمستر ويكفيلد » .

قام هيب ، وأخذ مفاتيحه . وفتح دولابا معيناً ، نظر بداخله ، ثم أغلقه ، واتجه نحونا مرة أخرى وهو يشعر بذل وانكسار ٠٠ فقالت امه تستعطفه وتحاول اقناعه :

— يورياه ٠٠ كن متواضعا وقم بتسوية الأمر معهم ٠٠ لقد أخبرنى مستر ترادلز بأنه عرف جميع هذه الاشياء ولديه كل المستندات ٠٠ ووعده بأنك ستكون متواضعا وسترد اليهم اموالهم ٠٠

واستمر مستر ميكاببر فى القراءة :

« ٠٠٠ واستطيع أن أثبت أن هيب قد أجبر مستر

ويكفيل حتى يصبح شريكا له في المكتب .. ووعده بأن
يدفع له مبلغا معيناً كل عام .. ثم اخذ يقرض مستر
ويكفيل بعض النقود .. وهذه النقود هي نقود مستر
ويكفيل بكل تأكيد .. وبهذه الطريقة وضع مستر
ويكفيل تحت سيطرته ..

وأنا أتعهد بأن أثبت صدق جميع هذه الحقائق ..
وبعد هذا فإن علي أنا وأسرتي التعيسة أن نفتق من
على وجه هذه الأرض التي فشلنا فيها ، ولم نستطع أن
نخدم أي هدف مفيد ! »

وبعد أن انتهى مستر ميكابر من القراءة ، طوى
الورقة التي يقرأ منها وأعطاهما لعمتي .

وكانت هناك خزانة حديدية ضخمة قابعة في ركن
الغرفة ، فقام يورياه هيب وفتحها وفوجيء بأنها خالية
تماما فصاح :

— أين دفاتر الحسابات .. لابد أن أحد اللصوص
قد سرقها ..

فقال مستر ميكابير :

- لقد اخذتها أنا ٠٠ !

وقال قراولز :

- وهى عندى أنا ٠٠ !

**وفجأة هبت عمتى واقفة ، واتجهت نحو يورياه ،
وامسكت بتلابيبه ، وصاحت فى وجهه :**

**- هل تعرف ماذا اريد ؟ ٠٠ اريد نقودى ٠٠ اريد
ان تعيد الى اموالى !**

ثم التفتت عمتى نحو اجنس وقالت :

**- اجنس يا عزيزتى ٠٠ عندما خدعت وقيل لى انى
فقدت اموالى بسبب يرجع الى مستر ويكفيلد ، فانى
لم اقل شيئا ولا نطقت بكلمة ٠٠ ولكن الآن عرفنا ان
هذا الشخص هو الذى استولى على اموالى ٠٠ وسوف
استردها منه !**

وارتمى يورياه على مقعده ، وقال مستسلما :

- وماذا تريدون أن أفعل ؟ ؟ !

فقال تراديلز :

- ستوقع على مستند بالتنازل عن كل شيء لى .
وإذا لم توقع على هذا المستند ، فسوف يكون مصيرك
الى السجن .

وهنا قامت مسز هيب باستعطاف أجنس لى
تساعدهما وأن تكون رحيمة بهما . فقال يورياه :
- اماء . . توقفى عن هذا الضجيج . . !

ثم التفت الى تراديلز وقال :

- أين هو المستند ؟ . سأوقع عليه . . !!

اعترفنا جميعا بفضل مستر ميكاوير وهسنيعة
الجميل الرائع . . وكنا شغوفين بأن نوجه الشكر اليه . .
ولذلك فقد ذهبنا معه الى بيته . . وكان مدخل البيت
الذى يطل على الشارع هو نفسه المدخل الى غرفة
الجلوس . .

اندفع مستر ميكاوير الى داخل البيت ، وارتقى
بين ذراعى زوجته وهو يحتضنها بقوة ويصيح :

- ايما ٠٠ لقد زالت الغمامة ٠٠ وارتاح عقلى
وضميرى ٠٠ والآن مرحبا بالجوع ٠٠ ومرحبا بالثياب
الرثة واللاهمل ٠٠ ان ثقتنا فى بعضنا سستستمر
الى النهاية !!

وقالت عمى :

- مستر ميكاوير ٠٠ انى اتعجب لماذا لاتترك
انجلترا وتذهب الى ارض جديدة اخرى ٠٠ الى استراليا
مثلا ٠٠ ؟

فقال مستر ميكاوير :

- منذ مدة طويلة وانا احلم بذلك (وانا على يقين
من ان مستر ميكاوير لم يفكر فى مثل هذا الموضوع
من قبل) ٠٠ ولكن هناك بعض الصعوبات ٠٠ !

فقالت عمى :

- النقود ؟ ٠٠ لقد اديت لنا خدمة عظيمة ٠٠ ومن
واجبنا ان نتكفل بالنقود المطلوبة ٠٠ !

- انى لا استطيع ان اخذ هذه النقود كهيئة ..
ولكن يمكنكم ان تقرضوني اياها .. !

- طبعاً .. طبعاً ..

وهنا تساطت مسز ميكاوير :

- فى بلد مثل استراليا .. هل يستطيع رجل له
مزايا وقدرات مستر ميكاوير ان يجد فرصة للذهاب
بمستواه ومستوانا .. انى لا اتوقع ان يصبح حاكما
لاستراليا .. ولكنى اتساءل هل يجد الفرص التى
تناسب مواهبه .. ؟

فكانت عمى :

- ليس هناك مكان أفضل من استراليا .. فى
توفير فرص النجاح أمام مستر ميكاوير .. !

وخرجنا .. وخرج مستر ميكاوير معنا .. وبينما
كنا نجتاز ساحة السوق .. لاحظت ان مستر ميكاوير
قد تقمص شخصية مزارع استرالى .. وأخذ يتفحص
قطعان الأغنام بعين خبيرة .. !

٤٠ - نهاية هيب

ذمينا انا وعمتي وأجنس الى كانتربرى لنصرف
نقائج التصفية التي قام بها ترادلز لأعمال مكتب
• ويكفيلد وهيب • • وكانت عمتي تبدو في حالة غير
طيبة • • كانت شاحبة الوجه الذي ظهرت فيه خطوط
حزن عميقة • • وكانت تبكي في بعض الاحيان ،
وتحاول أن تخفي دموعها بيدها • •

وعندما اجتمعنا مع ترادلز ، قال بجدية :

- لقد تحسنت احوال مستر ويكفيلد • • وأصبح
الآن قادرا على المساعدة • • بل ساعدنا بالفعل في

ايضاح الكثير من البيانات المدونة بالدفاتر ٠٠ وقد
انتهينا الآن من وضع كل شيء فى نصابه السليم ٠٠
وخلصنا الى كل النتائج ٠٠ فبالنسبة الى موقف مستر
ويكفيلد فهو غير مدين لأحد ٠٠ وتبقت له بضع مئات
من الجنيهات يستطيع أن يواصل بها حياته ٠٠ أميرا
بالنسبة لمس تروتوود ٠٠٠٠ فقاطعته عمى ز

– لو كنت قد خسرت جميع أموالى ، فانى أستطيع
أن أتحمل ذلك ٠٠ واذا حدث العكس فسوف أكون
مسرورة باستردادها ٠٠

– لم نجد سوى خمسة ٠٠٠ ٠٠٠

– خمسة جنيهات ٠٠ أم خمسة آلاف ٠٠ ؟

فقال ترادلز :

– خمسة آلاف جنيه ٠٠

فقالت عمى فرحة :

– هى كل النقود اذن ٠٠

ثم التفتت اليها وقالت :

- عندما أبلغت بانى قد خسرت كل اموالى
ظننت فى البداية ان مستر ويكفيلد قد استخدمها
وخسرها ٠٠ ثم خدعنى يورياه هيب وأرسل الى رسالة
يقول فيها أن مستر ويكفيلد لص ٠٠ وأنه هو الذى
استولى على أموالى ٠٠ فذهبت اليه وزرته ذات
صباح ٠٠ وأحرقت رسالته أمامه ٠٠ وقلت له اذا كان
بوسعه أن يضع الأمور فى نصابها السليم فليفعل ،
والا فعليه أن يلزم الصمت !
وبعد لحظة ، تساءلت عمتى :

- وماذا حصل بالنسبة لهيب ٠٠

- لا أعرف ٠٠ فقد اختفى ٠٠

- والآن ٠٠ ماذا سنفعل بالنسبة لمستر

ميكاوبر ١٩٠٠

فقال ترادلز :

- فى الحقيقة ان مستر ميكاوبر يستحق الكثير.

من الشكر والثناء ٠٠ لقد كان فى وسعه أن يحصل
من يورياه ميب على مبلغ كبير من المال مقابل سكوته ٠٠
وقد وجدت انه مدين بمبلغ مائة وثلاثة جنيهات وخمسة
شلنات ٠٠٠

فقال عمتى موجهة حديثها الى أجنس :

– أجنس يا عزيزتى ٠٠ ماذا سنعطيه ؟ ٠٠ هل
نعطيه خمسمائة جنيه ٠٠ ؟ !

فقال ترانلز :

– اعتقد أن من الأفضل أن نشترى له تذاكر السفر
الى استراليا بالاضافة الى مبلغ صغير لتغطية نفقاته ٠٠
واستدعينا مستر ومسز ميكاوبر الى الحجرة ٠٠
وأخبرتهما عمتى بما قررناه ٠٠

وقلت لمستر ميكاوبر :

– والآن أريد أن انصحك ٠٠ لاتدع أحدا يقرضك
نقودا مرة أخرى !

فقال مستر ميكاوير :

- ابدأ .. لن أفعل ذلك .. وسوف أكتب هذا
القسم على صفحة بيضاء فى حياتى المستقبلية ..
وسأجعل ابنى ويلكينز يتذكر دائما أن من الأفضل له
أن يضع يده فى النار ، ولا يمدّها الى هذه المخلوقات ..
هؤلاء الذين يقرضون النقود .. هؤلاء الذين سمعوا
دم أبيه التعميس ..

٤١ - العاصفة

كنا في بداية المساء حين ركبت إحدى العربات
أخذنا طريقى إلى يارموث • وقت لمسائق العربة وأنا
أأمل السماء :

— ألا تعتقد أن الجو غريب جدا ؟ • لا أتذكر أنى
شأمت جوا مثل هذا من قبل ••

فقال سائق العربة :

— ولا أنا يا سيدي •• فهذا الجو ينثر بهبوب
عاصفة شديدة •• وبالطبع سيثور البحر ويهيج
وستحدث بعض الحوادث •

واشتد ثلبد السماء بالغيوم والسحب ٠٠ بل
واخذت السحب المتطايرة تتراكم فوق بعضها كالجبال
الشاهقة ٠٠ وكان القمر يبدو أحيانا من بين فرجات
السحب وكأنه قد فقد طريقه وتاه وأصابه خوف
عارم ٠٠

أما الرياح فقد أخذ محبوبها يشتد ويمنف لحظة بعد
أخرى ٠٠ وكانت تحدث أصواتا غريبة ومخيفة أحاطت
بكل شيء ٠٠

وكلما أوغل الليل كلما تكاثفت طباق الظلام ٠٠
وتراكمت جبال السحب وغطت السماء كلها واختفى
وجه القمر ٠٠

وحينما اشتد هبوب الرياح أصبحت الخيل لا تقوى
على جر العربة ٠٠ وكانت تدير رؤوسها لتجنب
صفعات الرياح ٠٠ بل وكانت تتوقف في أحيان كثيرة
دون أن تقوى على مواصلة السير ٠٠ وأصبحت نخشى
أن تنقلب بنا العربة ٠٠

وبالرغم من بداية ظهور تباشير الصباح ، إلا أن

الرياح واصلت هبوبها العنيف وأصبحت أقوى من ذي قبل ٠٠ لقد رأيت عواصف كثيرة ولكنى لم أشاهد عاصفة مثل هذه ٠٠٠

وصلنا متأخرين جدا الى ابسويش بعد أن صارعنا الرياح طوال رحلة مرهقة ٠٠ ورأينا الناس قد تجمعوا في ساحة السوق بعد أن غادروا بيوتهم خوفا من سقوط المداخل ٠ وبينما كان سائق العربدة يستبدل الخيل بخيل أخرى ٠ سمعت الكثير من أخبار أسقف البيوت التي تطايرت وتحطمت ٠ والأشجار الكبيرة والصغيرة التي اقتلعت وسقطت على الأرض ٠٠

وواصلنا الرحلة وسط هذه العاصفة العنيفة ٠٠ والتي كانت تزداد عنفا وتدميرا كلما مر الوقت واقتربنا من ساحل البحر الذي تهب منه كل هذه الرياح الماثرة ٠ وبالرغم من أننا كنا لم نزل بعيدين عن الساحل بمسافة طويلة ٠ الا أننا أحسبنا بملح البحر فوق شفاها ٠٠ وانهمر مطر من الماء المالح فوق رؤوسنا ٠٠

وعندما لاح لنا ساحل البحر أخيرا ٠٠ سمعنا

هدير الأمواج الصاخبة ٠٠ وهى تعلو فوق الشاطئ
كما لو كانت أبراجا أو بنايات مرتفعة ٠

وربتت أقامتى بفندق صغير قديم ٠٠ ثم خرجت
متجها صوب الشاطئ ٠٠ وهناك رأيت نصف سكان
المدينة متجمعين ٠٠ وكثيرا من النساء كن يبكين بسبب
عدم ظهور قوارب الصيد التى يعمل عليها أزواجهن
بداخل البحر ٠٠ وكان قدامى البحارة يهزون رؤوسهم
فى يأس وهم ينظرون الى كل من البحر والسماء ٠٠
وكان ملاك السفن والقوارب ينظرون صوب البحر
وقد عصف بهم الاضطراب والقلق ٠٠

وكاد الحصى والرمال المتطايرة أن يعمى عيني ٠٠
وكاد هدير الموج أن يصم أذنى ٠٠ وكاد البحر أن يخرج
من شاطئه ليبتلع المدينة بمن فيها ٠٠ وفجأة أشار أحد
الملاحين،، ورأيت ٠٠ ويالهول مارأيت ٠٠ رأيت سفينة
تتحطم والأمواج تهاجمها من كل جانب !

كان أحد صواري السفينة قد تحطم ولكنه مازال
متعلقا بجانب السفينة ويتخبط فيها بقوة ٠٠ ورأيت

بعض الرجال على ظهر السفينة وهم يحاولون فصل
الصارى عن السفينة والقائه فى البحر ٠٠ ورأيت
بينهم رجلا مجعد الشعر ٠٠

وفجأة سمعت صرخة مدوية اطلقتها كل المتجمعين
على الشاطئ ٠٠ صرخة غطت على هدير الموج وزئير
الرياح ٠٠ لقد طغى البحر على حطام السفينة ، وقذف
بالصارى وبكل ما عليها من أشياء ومن عليها من
الرجال ٠٠ فى المياه الثائرة بكل عنف ٠٠ والتي كانت
تبدو كما لو كانت تقور وتغلى ٠٠

وعندما انفاح الموج عن الحطام ، رأينا السفينة
وقد انكسرت فى منتصفها ٠٠ ورأينا أربعة من الرجال
مازالوا متعلقين بالصارى الثانى الذى ظل يتأرجح
ويعلو ويهبط مع كل موجة ٠٠ ورأيت بين الرجال الأربعة
الرجل المجعد الشعر ٠

وكان هناك جرس مازال معلقا بالجزء المتبقى من
حطام السفينة ٠٠ وكان يدق بعنف واضطراب كلما
هبت موجة تقرب الحطام من الشاطئ ، وكلما انزاحت

موجة تبعد الحطام الى داخل البحر ٠٠ كان دق الجرس
أشبه بنفير الموت لهؤلاء الرجال التمساء الذين مازالوا
يكافحون ويحاولون التمسك بالحياة ٠

وهبت موجة عاتية وغطت الحطام كله ٠٠ ثم
انزاحت بعد أن أخذت معها اثنين من الرجال الأربعة ٠٠
فصرخ كل المتجمعين على الشاطئ وولولوا ٠٠ واندرات
النساء وجوههن وهن يصرخن ويبكين ٠٠ كما أخذ بعض
الرجال يجرون ذهابا وجيئة على الشاطئ وهم
يصرخون لطلب المساعدة ٠٠ ولكن أية مساعدة تلك
التي يمكن أن يقدمها أحد في مثل هذه الأحوال ؟ !

كان من المستحيل تماما أن يرسل أى قارب
للنجدة ٠٠ وكان من الجنون أن يسبح أحد ومعه حبل
ليوصله بين الحطام والشاطئ ٠٠ ومع ذلك فقد رأيت
بعض الرجال يستعدون لعمل شيء ٠٠ وكان هام فى
مقدمتهم ٠

رأيت فى وجهه مزيجا من ملامح الحزن ولامح
التصميم والعزم ٠٠ وفهمت أنه مقبل على مواجهة

أخطار قد يلقي فيها حتفه ٠٠ لذلك فقد اندفعت اليه
وأحطته بذراعى لكى أمنعه من الاقدام على تلك
المخاطرة ٠٠ وتوسلت الى الرجال المجتمعين حولي
وحوله أن يمنعوه من مغادرة الشاطئ ٠٠

ثم ارتفعت صرخة عالية ، فنظرت صوب الحطام ،
فرايت جزءا من الشراع قد هوى وسقط فى البحر ،
أخذا معه واحدا من الرجلين الباقيين ٠٠ وهكذا لم
يصبح على الحطام الآن سوى رجل واحد مازال متشبثا
ببقايا الصارى ٠٠

وهنا قال لى هام مقوسلا :

- مستر دافيد ٠٠ لو كان عمرى قد انتهى فهر
قدرى المكتوب ٠٠ ليباركك الله ٠٠ دعنى اذهب
وأحضروا له جبلا طويلا ، ربط أوله حول خصره ٠

وكان الحطام يعلو فوق قمم جبال الموج ، ويهبط
بعمق الى وديانها ٠٠ وكان الرجل الباقي عليه مازال
متشبثا بالصارى ٠٠ وكان يرتدى كابا احمر غريب

الشكل ظل يلوح به كما لو كان يتوسل إلينا لنجدته ..
وقد نكرنى هذا الكاب الأحمر بصديق قديم كان يرتدى
مثله ..

نظر هام إلى البحر .. وعندما انحسرت موجة
كبيرة عاتية ، أخذ يجرى وراءها .. وفى لحظة واحدة
أصبح هام يصارع الأمواج .. يعلو فوق قممها ويهبط
مع وديانها .. ثم قذفته موجة قوية نحو الشاطئ ،
فجذبه الرجال نحو الرمال ..

كان من الواضح أنه أصيب .. ورايت الدماء
تغطى وجهه .. ولكنه لم يهتم بذلك بل وطلب من الرجال
أن يرخوا الحبل ليتيحوا له مزيدا من الحرية للتوغل
إلى داخل البحر حتى يصل إلى الحطام لينقذ الرجل ..
ثم قذف نفسه بين أحضان الموج مرة أخرى ..

أخذ يسبح نحو الحطام بكل قواه .. وكنا نراه
يعلو ويهبط مع حركة الموج .. وما كاد أن يصل إلى
موقع الحطام ويمسك به ، حتى رأينا موجة خضراء
عالية كالجبل ، جاءت من خلف الحطام وارتفعت

فوقه ٠٠ وفي لمح البصر غاص الحطام في أعماق
البحر .

تكاثف الرجال واخذوا يسحبون الحبل ٠٠ وفي
لحظات وصل هام مصعوبا الى الشاطئ ٠٠ وكان جثة
هامدة ٠٠ لقد لطمته الموجة الخضراء بضربة قاتلة
اطاحت بحياته بكل الشجاعة التي كانت تملأ قلبه .
وحملناه الى منزل قريب وبقيت الى جواره ، وعقلي
مغمم بكل الذكريات التي عرفتھا عن هذا الرجل الطيب
الشجاع .

وبينما كنت جالسا بجوار سرير هذا الفقيد
العزیز ، سمعت طرقا على الباب ، ودخل احد الصيادين
يقاينني باسمي :

— مستر كوبر فيلد ٠٠ هل يمكن ان تمض معي ؟
واحسنت ان مصيبة اخرى قد وقعت واستندت
الى ذراع الرجل وسالته بصوت ضعيف وحزين :

— هل لفظ البحر جثة اخرى ؟

- نعم ياسيدى ..

- وهل هى لشخص أعرفه ؟

ولم يهبط الرجل بكلمة .. وقادنى متأنيا نحو
الشاطيء حتى وصلنا الى نفس المكان الذى كنا - أنا
واميلى - نجمع فيه القواقع .. وهناك بين أطلال
البيت القديم الذى أساء الى أهله ، رأيت ممددا على
الأرض ، ورأسه مسنودة على نراعه .. تماما مثلما
كان يفعل أيام المدرسة .. كانت الحقبة لصديقى
القديم .. ستيرلورث !!

وطافت بخاطرى نكرى آخر لقاء معه .. وتذكرت
بوضوح آخر كلماته : « إذا فرقت بيننا الظروف ..
فارجو أن تذكر حسناتى ! »

وهذا ما سوف أحافظ عليه الى الأبد ..

٤٢ - ابلاغ الخبر الى مسز ستيرفورت

وصلت قرب الظهر الى هاي جيت . وفتحت لى
خادمة صغيرة باب البيت . سألتها :

- انى اجمل اخبارا سيئة الى مسز ستيرفورت ؟
هل هى موجودة الآن ؟

فى هذه اللحظة كانت الأم موجودة فى غرفة
ابنها . وبجانبها كانت تقف روزا دارتل . وتساءلت
الأم فى قلق :

- هل هو مريض ؟ هل رايته ؟ هل عدتما
اصدقاء كما كنتما من قبل ؟

فهمست بصوت حزين :

— لقد مات !!

فصاحت الأم :

— روزا .. الحقينى !

فلحقتها روزا على الفور .. ولكن بدون شفقة
ولا رحمة .. وكانت عيناها تتوهجان بشرد كالنار ،
وصرخت فيها قائلة :

— والآن .. هل ارتحت .. هل أرضيت غرورك
وفخرك بابنك .. ايتها المرأة المجنونة .. ؟!

ارتحت مسر ستيرفورت على مقعدها تمسك فيهما
بمعينين مفتوحتين عن آخرهما .. وواصلت مع دارتل
صراخها الملتاع ، وهى تدق بيديها على صدرها ،
وتشير الى ثجة الجرح الظاهرة فى وجهها :

— انظرى ماذا فعله ابنك فى وجهى .. ثم نوحى
بعد ذلك وولوى .. ايتها الأم الفسورة بولدهما

الشرير ! ٠٠ انت التي دفعتي الى طريق الشر والضياح ٠٠
كنت احبه اكثر منك ٠٠ احبه دون مقابل ودون أمل أو
رجاء ٠٠ واحبني هو عندما كان بريئا وصادقا مع
نفسه ٠٠ وبعد ذلك أصبحت مجرد العوبة يلهو بها
كلما وجد ساعة فراغ يريد أن يقضيها في اللذة
والمتعة ٠٠ كان يسحبني الى هنا أو الى الطابق العلوي
ويلهو بي وفق هواه ٠٠ لقد أصبحت بالنسبة لكما
انتما الاثنین مجرد شيء مكسور لافائدة فيه وعديم
القيمة !!

قلت استعطفها واحاول ان اهدي روعها :

- مس دارتل ٠٠ أرجو ان تقدری شعور واحزان
أم فقدت ابنها الوحيد ٠٠ !

فصرخت قائلة :

- ومن ذا الذي يقدر شعوري واحزاني ؟ !

- ولكن في مثل هذه اللحظة يجب ان تنسى كل
الاسماء ٠٠ يجب ان تمدی يدك لمعاونة الأم الثكلى
في تحمل احزانها ٠٠ !

ولكن مصز ستيرفورت كانت جالسة على مقدمها
دون حركة .. كانت جامدة كتمثال نحت من الحجر ..
ويسدات من روزا دارتل تفك بعض الاضرار وتخلف
أربطة ملابس الأم لمساعدتها على التنفس .. والتفتت
الى وصروخت في وجهي :

- عليك اللعنة .. كانت ساعة شر سوداء حين
جئتنا في هذا البيت .. عليك اللعنة .. هيا اخرج
من هنا .. !!

وأخذت مصز ستيرفورت بين نراعيها .. تقبلها
تارة ، وتناديه باسمها تارة أخرى .. وتحاول بكل
طريقة أن تفيقها من غشيتها .. أو تعيد اليها انفاس
الحياة ..

٤٣ - واقلمت السفينة

ذهبت أنا وبيجوتى - مريبتى العجوز المخلصة -
الى جريفسند لتوديع عائلة ميكابور المهاجرة الى
استراليا ٠٠ وكان مستر بيجوتى قد انتوى الهجرة
ايضا واستعد للرحيل على نفس السفينة ٠

وعندما وصلنا الى الرصيف ، رايت ابناء مستر
ميكابور وهم يتعلقون بذراعى اجنس حتى آخر لحظة ٠٠
واخذنا قارباً صغيراً اتجهنا به صوب السفينة التى
كانت تقف بعيدة عن الرصيف ٠٠

واستقبلنا مسستر بيجوتى الذى كان يقف على
سطح السفينة بجوار السور ٠٠ وقال لنا أن مسستر
ميكاوبر قد قبض عليه منذ لحظة للوفاء بدين لأحد
الدائنين ٠٠ ولكنه استطاع أن يدفع مبلغ الدين فاطلق
سراحه ٠

وفى مكان منزو قريب على سطح السفينة لمحت
اميلى جالسة مع ابناء مسستر ميكاوبر ٠٠ ورأيت أجنس
تحيتها وتودعها بقبلة ! ٠٠ كما رأيت مسز جاميدج
وهى ترتب حاجيات مسستر بيجوتى بمعاونة بعض
الشابات الصغيرات ٠

ونودى على كل المودعين والزوار بأن يغادروا
السفينة بعد أن حل وقت الرّحيل ٠٠ وقمت بتوديع
المهاجرين الوداع الأخير ٠٠ وكانت بيجوتى تبكى وهى
متعلقة بذراعى ٠٠

ونزلنا الى القارب الذى عاد بنا الى الرصيف ٠٠

وكانت أشعة الشمس الفاربة تنعكس في جمال رانع
فوق صفحة المياه الهائلة ..

وساد الصمت لحظة .. ثم فردت السفينة قلوبها
واشرعتها في مواجهة الريح .. وبدأت تتحرك ببطء
صوب البحر الواسع العريض .

٤٤ - الفصل الأخير

صافرت بعد ذلك في رحلة طويلة زرت فيها إيطاليا
وفرنسا وسويسرا .. ثم عدت الى الوطن ..

توجهت فورا الى بيت عمى في دوفر حيث
استقبلتني هي ومستر ديك وبيجوتى التى أصبحت الآن
مديرة للمنزل .. استقبلونى جميعا بفرح عظيم والدموع
تترقب في عيونهم ..

وظللت اتحدث مع عمى حتى الليل .. وفجأة
سألتني عمى :

- ومتى ستسافر الى كانتربرى ؟

فاجبتها :

- سأسافر صباح الغد .. !

وجلست صامتا مستغرقا في التفكير العميق وأنا
أحلق في نار المدفأة .. كنت أشعر بالأسف والحزن
بسبب ما فشلت في معرفته والإحساس به والتنبيه إليه
في أيام صباى الماضية ..

وخيل الى انى اسمع صوت عمى وهى تعتب على
قائلة :

- اوه ياتروت .. انت اعمسى .. اعمسى ..
أعنى .. !

ثم قالت عمى وكأنها تلهم مشاعرى وتحس بما
يدور في نفسى وقلبي :

- اذهب اليها .. ستجد اباها وقد خط المشيب شعر
رأسه .. وستجدها جميلة متألقة .. كريهة غير انانية
كما كانت دائما .. !

فسالت عملى مترددا :

— هل لأجنس

— لها ماذا ؟ ...

— عاشق يحبها ... ١٩

فصاحت عملى :

— لها عشرون ... كان فى امكانها ان تتزوج
عشرين مرة !!

— ولكن هل بينهم عاشق جدير بها ويستحقها ...
وهل هى تحب احدا بعمئه ... ؟ !

فقالت عملى متلهدة :

— اعتقد انها تحب واحدا بعمئه ... هى لم تخبرنى
بأى شئ عن حبها ... ولكنى اعتقد ذلك ... !

وفى الصباح الباكر وصلت الى كافتربرى ...
وفتحت لى الباب خادمة جديدة لاتعرفنى ... قلت لها :

— اخبرى مس ويكفيلد ان خفيلا وصل ويريد ان
يراهما ...

وبعد قليل فتح باب الحجرة ودخلت اجنس بكل
جمالها ووداعة عينيها . واتجهت نحوى وهي تضع
يدفا على قلبها من وقع المفاجاة . قلت لها :

- اجنس يا عزيزتى .. ارجسو ان تكون مفاجاة
طيبة لك ان ترينى هنا ..

- انى فى غاية السرور لرؤيتك ياتروتوود !

وجلسنا جنبا الى جنب .. كانت صديقة كما
كانت ابدا .. جميلة .. وطيبة .. وحاولت ان اشكرها
على كل ماصنعتة فى الماضى من اجلى .. وقلت لها
فى النهاية :

- والآن يا اجنس .. اخبرينى عن نفسك ..

فقالته يهدونها المعتاد :

- ماذا اخبرك به ؟ .. ان ابى فى حالة طيبة ..
وها انت ترانا نعيش فى بيت ملكنا ! .. يدو انك تفكر
فى شىء ما ياتروتوود ..
وقلت لها :



آجنس وداقید .

- اجنس ٠٠ دعيني اقول الآن ما أفكر فيه ٠٠ لقد
جئت لأخبرك بأنى علمت انك تحبين شخصا ما ٠٠
وأرجو الا تخفى على اى شىء يتعلق بمسعادتك
القريبة ٠٠ من هو ذلك الشخص ٠٠ أخبرينى باسمه
إذا كنت مازلت تثقين بى ٠٠٠

رفجاة ، هبت اجنس واقفة وهى تخفى وجهها
بيديها وانفجرت فى البكاء بدمع غزير فاض من
عينيه ٠٠ وكاد قلبى أن يتمزق وأنا أسألها فى جيرة
ولوعة :

- اجنس ياعزيزتى ٠٠ ماذا فعلت حتى تبكى هذا
البكاء كله ٠٠ ١٩

فقلت وقد ازداد بكأؤما وانهمار الدموع من
عينيه :

- أرجوك ياتروتوتو ٠٠ دعنى اذهب الآن ٠٠
انى لست فى حالة طيبة ٠٠ وسوف نتحدث عن ذلك
فيما بعد ٠٠ ١

وأخذتها بين ذراعى وهمست :

- أجنس يا حبيبى .. انت املئى .. وانت خير عون
فى حياتى ... !

وارتاحت أجنس على صدرى .. قريبة من قلبى ..
ووضعت يدها الرقيقة على كتفى .. وتلألت عيناها
من وراء الدمع بنظرات حلوة حنون ..

وقلت لها بكل الصدق :

- فى أى مكان كنت اذهب اليه يا أجنس كنت
أشعر بدبيب حبك فى قلبى .. لقد سافرت بعيدا لأنى
أحبك .. وعدت الآن اليك لأنى أحبك أكثر وأكثر ..

وضعت كلتا يديها الرقيقتين على كتفى .. ونظرت
الى بوجهها الهادئ الجميل الرائق . وقالت :

- هناك شئ أريد أن اخبرك به ..

- ماهو يا حبيبتى ؟ .. اخبرينى !!

- لقد أحببتك طوال حياتى .. !!